تناسق الدرر
في
تناسب السور

تأليف

العلامة جلال الدين السيوطي
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

تحقيق

عبد الله محمد الدرويش

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

تناسق الدرر
في
تناسب السور

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

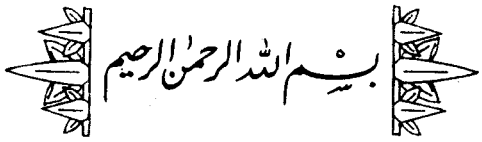

قصتنا مع موضوع الكتاب

عنوان غريب نصدر به الكتاب، يجعل القارىء اللبيب يتساءل، لماذا قصتنا؟! وليس قصتك؟!.. والجواب يكون أنه قصتنا جميعاً، لأن البحث بحث للمسلمين مع أعداءهم، الذين يركضون وراء المتاهات، لا لشيء، إلا لهوى في أنفسهم يبغون رواجه، وصداً للمسلمين عن دينهم، وتشكيكاً بكتاب ربهم - عز وجل -.

فأعداء المسلمين يسعون بكل جهدهم وطاقتهم، لإثبات أن هذا الكتاب، ليس كتاب الله، ويأبى الله - سبحانه - إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون..

هذه الحملة الشرسة، ليست وليدة يوم وتنقضي، إنها وليدة قرون من المكر الذي يدبر في الغرفات السرية، لإبعاد مسلمي - هذا العصر وكل عصر مضى - عن دينهم، وكتابهم، فمنذ أول يوم للدعوة، وأعداء الإسلام يلقون ترهاتهم، ويقولون بملء أفواههم، هذا الكتاب، ليس كتاباً معجزاً، ولكنهم رغم ذلك كانوا يؤكدون في قرارة أنفسهم حقيقة إعجاز القرآن..

فكتب المسلمون في ذلك الصحف والكتُب، وتنوعت طرقهم في إثبات إعجاز الكتاب، وكان رائدهم في ذلك معاني قول المرسي[1]: «جمع القرآن علوم

---

(١) المُرسيَ: هو العلامة شرف الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل النحوي الأديب الزاهد المفسرالمحدث الفقيه الأصوليَ. له عدة تصانيف منها: تفسير القرآن قال عنه ياقوت: قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض. ولد في ذي الحجة سنة (٥٦٩) هـ. ومات سنة (٦٥٥) =

الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به». حتى قال: «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله».

فاعتنى القراء بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه، وعددها، وعدد كلماته، وآياته، وسوره، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وعدد سجداته، والتعليم عند كل عشر آيات، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه.

واعتنى النحاة: بالمعرب منه، والمبني من الأسماء والأفعال، والحروف العاملة وغيرها. وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي، ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به، حتى أن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة.

واعتنى المفسرون: بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد، ولفظاً يدل على معنيين، ولفظاً يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح محتملات أحد ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون: بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية والنظرية... فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله، ووجوده، وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم: بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التخصص والإضمار، والنص، والظاهر، والمجمل، والمحكم، والمتشابه، والأمر والنهي، والنسخ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة، واستصحاب الحال، والإستقراء، وسموا هذا الفن: أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال

= هـ ـ معجم الأدباء لياقوت ١٨: ٢٠٩ ـ ٢١٣، والعقد الثمين للفاسي ٢: ٨١ـ٨٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٥: ٢٩، وبغية الوعاة للسيوطي ١: ١٤٤ـ ١٤٦.

والحرام، وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله وفروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً، وسموه: بعلم الفروع، وبالفقه أيضاً.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم، ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء، وسموا ذلك: بالتاريخ والقصص.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال، والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار، فصولاً من المواعظ، وأصولاً من الزواجر، فسموا بذلك: الخطباء والوعاظ.

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف من البقرات السمان وفي منامي صاحبي السجن... وسموه تعبير الرؤيا.

وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام، وغير ذلك علم الفرائض. واستنبطوا من ذكر النصف، والثلث، والربع، والسدس، والثمن، حساب الفرائض، ومسائل العول، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس، والقمر ومنازله، والنجوم، والبروج، وغير ذلك، فاستخرجوا منه: علم المواقيت.

ونظر الكتاب والشعراء: إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادىء، والمقاطيع، والمخالص، والتلوين في الخطاب والإطناب، والإيجاز، وغير ذلك فاستنبطوا منه: المعاني والبيان والبديع.

ونظر أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة: فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاماً اصطلحوا عليها مثل: الفناء، والبقاء، والحضور، والخوف، والهيبة، والأنس، والوحشة، والقبض، والبسط، وما أشبه ذلك...

وقد احتوى على علم آخر من علوم الأوائل، مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجامة، وغير ذلك[٢]...

ولقد أجاد الباحثون في أرجاء القرآن فيما عدا الباحثين عن إعجازه، فإنهم لم يصلوا إلى مقطع الصواب في هذا المضمار ـ إلا فيما ندر ـ.

فأجاد اللغويون بحث القرآن من وجوه العربية، إجادة ممثلة في تفسير أبي السعود العمادي، وأثير الدين أبي حيان، وجار الله الزمخشري...

وأجاد الباحثون في الأحكام إجادة ممثلة في تفسير القرطبي، وشيخه ابن عطيه، والمتخصصون في أحكام القرآن كابن العربي، والجصاص، والكيا الهراسي.

وأجاد الباحثون في أخبار القرآن وسننه النبوية، وكان رائدهم في هذا الباب ابن جرير الطبري في تفسيره، وحيدر بن علي القاشي في (المعتمد).

كما أسهم علماء الفلاسفة والكلام في فهم القرآن من وجهة نظرهم فهماً ممثلاً في تفسير فخِر الدين الرازي. وأدلى الصوفية بدلائهم أيضاً، فكان تفسير القشيري، وحقائق التفسير للسلمي، وإعجاز البيان للقونوي، وتفسير النخجواني...

ولقد حاول أبو السعود العمادي، وأثير الدين أبو حيان، وجار الله الزمخشري، الكشف عن بعض جوانب الإعجاز في القرآن المناسبة لمن نزل عليهم القرآن من فصحاء العرب. فوقفوا في حالات معدودة، ثم تكلموا عن عظمة الأساليب القرآنية من وجوه الإعجاز في باقيها، وإنما من وجوه البلاغة التقليدية.

ومع ذلك فإننا نرى من نور الفهم لدى أبي السعود العمادي، دون أن يطبقه على تفسيره كله، وذلك حين يقول: إن جميع المقالات المنقولة في القرآن إنما هي تحكى بكيفيات، واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها إلا من

---

(٢) راجع هذا البحث في كتاب (الاكليل في استنباط التنزيل) للسيوطي: ٦ـ ٨.

تكلم بها حتماً، وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر[٣].

* * *

فالقرآن معجز لما له من أثر نفسي يثير الوجدان عن طريق الشعور، ويهز القلوب لأن أسلوبه يخاطب النفس الإنسانية خطاب العارف بخفاياها، فيبلغ في التعبير مبلغ الروعة إذ يكلم الغرائز، وينادي الطبائع، ويستخرج منها دفائنها، ومكنوناتها.

وقال الخطابي: إنك لا تسمع كلاماً غير القرآن ـ منظوماً ولا منثوراً ـ إذا قرعَ المسمع خَلَصَ منه إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومنَ الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفَرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها[٤].

«فالقرآن العظيم معجز في كل ناحية: معجز في بنائه التعبيري، وتنسيقه الفني باستقامته على خصائص واحدة في مستوى واحد لا يختلف، ولا يتفاوت، ولا تختلف خصائصه.

معجز في بنائه الفكري، وتناسق أجزائه وتكاملها، فلا فلتة فيه، ولا مصادفة، كل توجيهاته وتشريعاته، تلتقي وتتناسب وتتكامل وتحيط بالحياة البشرية، وتستوعبها وتلبيها وتدفعها دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهاج الشامل الضخم مع جزئية أخرى، ودون أن تصطدم واحدة منها بالفطرة الإنسانية أو تقصر عن تلبيتها وكلها مشدودة إلى محور واحد، وإلى عروة واحدة في اتساق لا يمكن أن تفطن إليه خبرة الإنسان المحدودة.

معجز في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس ولمس مفاتيحها، وفتح

---

(٣) راجع مقدمة الأستاذ عبد القادر أحمد عطا لكتاب (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) لتاج القراء الكرماني.

(٤) راجع (معجزات المصطفى ﷺ): ١٢- ١٣.

مغاليقها، واستجاشة مواضع التأثر، والاستجابة فيها، وعلاجها لعقدها ومشكلاتها في بساطة ويسر عجيبين، وفي ترتيبها، وتصريفها وفق منهجه بأيسر اللمسات دون تعقيد ولا التواء ولا مغالطة..».

وقد سرد هبة الدين الحسيني الشهرستاني المزايا الإجمالية للقرآن، وهي:

- فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائعها.
- بلاغته بالمعنى المشهور أي: موافقة الكلام لمقتضى الحال، ومناسبة المقام أو بلاغته الذوقية المعنوية.
- عربية العبارات الممثلة لسذاجة البداوة مع اشتمالها على بسائط الحضارة.
- توفر المحاسن الطبيعية فوق المحاسن البديعية.
- إيجاز بالغ مع الإعجاز بدون أن يخل بالمقصود.
- إطناب غير ممل في مكرراته.
- سمو المعاني وعلو المرامي في قصد الكمال الأسمى.
- طلاوة أساليبه الفطرية ومقاطعه المبهجة وأوزانه المتنوعة.
- فواصله الحسنى وأسماعه الفطرية.
- أنباؤه الغيبية وأخباره عن كوامن الزمان وخفايا الأمور.
- أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة.
- غوامض أحوال المجتمع، وآداب أخلاقية تهذب الأفراد وتصلح شؤون العائلات.
- قوانين حكمية في فقه تشريعي فوق ما في التوراة والإنجيل وكتب الشرائع الأخرى.
- سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف.
- خلوصه من تنافر الحروف وتنافي المقاصد.
- ظهوره على لسان أميٍّ لم يعرف الدراسة ولا ألف محاضرة العلماء ولا جاب الممالك سائحاً مستكملاً.

ـ طراوته في كل زمان وكونه غضاً طرياً كما تلي، وأينما تلي.

ـ إشتماله على السهل الممتنع الذي يعد ملاك الإعجاز والتفوق النهائي.

ـ قوة عبارته لتحمل الوجوه، وتشابه المعاني.

ـ قصصه الحلوة، وكشوفه التاريخية من حوادث القرون الخالية.

ـ أمثاله الحسنى التي تجعل المعقول محسوساً، وتجعل الغائب عن الذهن حاضراً لديه.

ـ معارفه الإلهية كأحسن كتاب في علم اللاهوت، وكشف أسرار عالم الملكوت، وأوسع سفر عن مراحل المبدأ والمعاد.

ـ خطاباته البديعية، وطرق إقناعه الفذة.

ـ تعاليمه العسكرية، ومناهجه في سبيل الصلح، وفنون الحرب.

ـ وسلامته من الخرافات والأباطيل التي من شأنها إجهاز العلم عليها كلما تكاملت أصوله وفروعه.

ـ قوة الحجة وتفوق المنطق.

ـ اشتماله على الرموز في فواتح السور ودهشة الفكر حولها، وحول غيرها.

ـ جذباته الروحية الخلابة للألباب، الساحرة للعقول، الفتانة للنفوس.

وأضاف إلى ذلك الأستاذ محمد الغزالي في كتابه (نظرات في القرآن):

ـ تضمنه الأسس لشريعة إنسانية صالحة لكل زمان ومكان.

وأضاف إليها الأستاذ خير الدين وانلي في كتابه (معجزات المصطفى) ـ ص ١٨ ـ ٢٠:

ـ ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، مما يؤكد عجز البشر عن الإتيان بمثله.

ـ اتساق القرآن في أغراضه ومعانيه على طول المدة التي استغرقها في تجمعه، فخواتيمه بعد ربع قرن جاءت مطابقة متساوقة لفواتحه يصدق بعضها بعضاً ويكمله كأنه نفس واحد.

ـ سهولة حفظه لقوله تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ . .

ـ حسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره.

ـ إطنابه في خطاب اليهود وإيجازه في خطاب العرب للتفاوت بينهما فهماً وبلاغة.

ـ ما أنبأ به من أخبار القرون السآلفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب.

ـ وجود كلمات في جمل لا يسد مسدها غيرها. .

ـ نزاهته في التعبير. . .

ـ خلوص ألفاظ الهجاء فيه من الفحش. .

ـ ما تضمنه من الأخبار عن الضمائر. .

ـ جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان في كلام البشر غالباً.

ـ إقتران معانيه المتغايرة في السور المختلفة فيخرج في السورة من وعد إلى وعيد، ومن ترغيب إلى ترهيب، ومن ماض إلى مستقبل، ومن قصص إلى مثل، ومن حكمة إلى جدل، فلا يتنافر، وهي في غيره من الكلام متنافرة.

ـ لا يخرج عن أسلوبه، ولا يزول عن اعتداله باختلاف آياته في الطول والقصر.

ـ آيٌ وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا، فالأخبار بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن معجزٌ للقرآن.

ـ قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد، ويمل على الترديد.

ـ كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.

إلى غير ذلك من المزايا التي لا تعد ولا تحصى. .

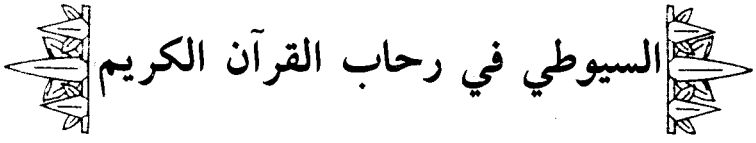

السيوطي في رحاب القرآن الكريم

عاش الإمام السيوطي مع القرآن حياة حافلة مثمرة، قرأه، ووعاه، وقرأ مئات الكتب التي كتبت عنه ووعاها، ثم راح يكتب عنه اقتباساً من الآخرين أو إبداعاً من فكره، وتكاملت له مؤلفات قيمة يقف عندها كل باحث عن القرآن وعلومه وإعجازه وقفات طويلة.

فإذا سألت عن السيوطي مفسراً تجد له في التفسير كتباً كثيرة، ففسر أجزاء من القرآن وسوراً منه، ككتابه: (الأزهار الفائحة على الفاتحة) و(الكلام على أول الفتح)..

وتجد له في التفسير المسند، كتباً استوعبت كل ما أثر عن النبي ﷺ والصحابة، والتابعين، ككتاب: (ترجمان القرآن) و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور).

وكمل كتباً سابقة كتكميله لتفسير الجلال المحلي، وحشى كتباً أخرى ككتاب: (نواهد الأبكار وشواهد الأفكار) حاشية على تفسير البيضاوي.

وانتقى من تفاسير السابقين ما رآه مفيداً مثل: (المنتقى من تفسير ابن أبي حاتم) و(المنتقى من تفسير الفريابي) و(المنتقى من مطالع أنوار التنزيل).

وألف تفسيراً جامعاً لكل ما يحتاج إليه المفسر سماه: (مجمع البحرين ومطلع البدرين) وكان كتابه (الاتقان في علوم القرآن) مقدمة لذلك الكتاب..

وكتب في موضوعات طريفة مثل: (الاكليل في استنباط التنزيل)

و(مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) و(خمائل الزهر في فضائل السور) و(لباب النقول في أسباب النزول) و(مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن) و(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) و(معترك الأقران في مشترك القرآن) و(ناسخ القرآن ومنسوخه) و(ميدان الفرسان في شواهد القرآن) و(التحبير في علوم التفسير) و (الجواهر في علم التفسير) و (قطف الأزهار في كشف الأسرار).

وكتب عن القراءات، ألفية من نظمه في القراءات العشر، و (شرح الشاطبية) و(الدر النثير في قراءة ابن كثير).

وكتب عن آيات القرآن إعراباً وبياناً. (رسالة في إعراب البيضاوي قوله تعالى ﴿ **يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾). و(فتح الجليل للعبد الذليل في الأنواع البديعية التي استخرجها من قوله تعالى: ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾). و(الكر على ابن عبد البر). في إعراب آية الكرسي. و(المحرر في قوله تعالى: ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾). و(نشر الطيب على الخطيب) في إعراب قوله تعالى: ﴿ **يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾. إلى غير ذلك من الدراسات والرسائل.

من أجل ذلك لا نعجب عندما يقول في مقدمة كتابنا هذا: «فنقبت عن أنواع علومه، ولقبتها، وأودعت ما وعيت منها في دواوين أوعبتها، وبقرت عن معادن معانيه وأبرزتها، وأوقدت عليها نار القريحة، وميزتها. وألفت في ذلك جامعاً ومفرداً ومطنباً ومقصداً...».

ومن تتبع كتابه هذا يستطيع أن يتبين مدى ذكائه، وجودة فهمه، حيث يحكم بأن السيوطي ابن بجدة هذا العلم.

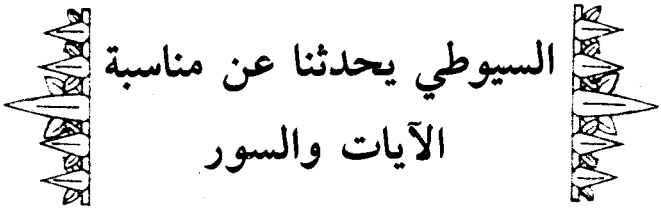

السيوطي يحدثنا عن مناسبة الآيات والسور

المناسبة في اللغة: المشاكلة، والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه.

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير، أو الاعتراض، أو البدل، وهذا القسم لا كلام فيه، وأما أن لا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشركة في الحكم أو لا، فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة»[1]... «وإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط، وله أسباب:

أحدهما: التنظير فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء...

الثاني: المضادة كقوله في سورة البقرة: ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم** .. ﴾ الآية، فإن أول السورة، كان حديثاً عن القرآن، وان من شأنه

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن: ٢: ١٠٨- ١٠٩.

الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين، فبينهما جامع وهمي، ويسمى بالتضاد من هذا الوجه وحكمته: التشويق والثبوت على الأول، كما قيل:

وبضدها تتبين الأشيـاء

فإن قيل: هذا جامع بعيد لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعَرَض لا بالذات، والمقصود بالذات هو الذي مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتتح القول.

قيل: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلق على أي وجه كان، ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به، والحث على الإيمان، ولهذا لما فرغ من ذلك قال: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** ﴾ فرجع إلى الأول.

الثالث: استطـــراد...

ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان: حسن التخلص: وهو أن ينتقل مما ابتدىء به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول، إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما، وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم في قوله: لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف، وقال: إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. وليس كما قال ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول(٢).

وقال بعضهم: الفرق بين التخلص والاستطراد إنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضاً...

ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع

(٢) الاتقان: ٢: ١٠٩.

مفصولاً بهذا. . . ويقرب منه أيضاً حسن المطلوب، قال الزنجاني والطيبي: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة[٣]. . .».

ولذلك قال[٤]: إن آيات القرآن متتالية يناسب بعضها بعضاً تماماً، فهي منسقة المعاني، منتظمة المباني، وإن كل سورة مرتبطة بما قبلها، وما بعدها أروع ارتباط. . .

ومن ثم يقول: إن كثيرين من العلماء ألفوا الكتب لبيان هذه الأسرار، وإن العلم بهذه الأسرار ضروري والجهل بها نقص في مراتب العلماء».

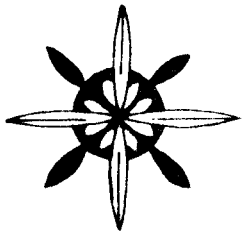

(٣) الاتقان: ٢: ١١٠.

(٤) معترك الأقران للسيوطي: ٥٤.

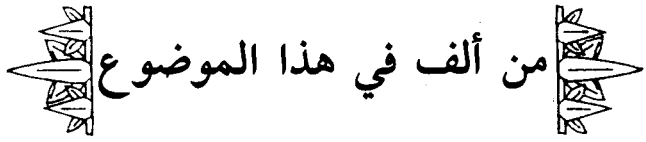

من ألف في هذا الموضوع

قال السيوطي[1]: أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه: (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن). ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور). وكتابي الذي صنفته في (أسرار التنزيل) كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز، وأساليب البلاغة.

وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته، (تناسق الدرر في تناسب السور).

وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين فقال في تفسيره: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط». وقال ابن العربي في سراج المريدين: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه».

وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرىء عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جانب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

(١) الاتقان: ٢: ١٠٨.

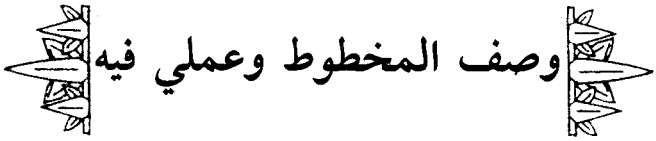

وصف المخطوط وعملي فيه

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة دار الكتب الظاهرية المحفوظة تحت الرقم (٥٠٥٠ عام) من الورقة ٨٨ إلى الورقة ١١٨ وهي بخط إبراهيم بن أحمد بن الشيخ عبد القادر العجلوني ـ نسخت عام ١١٤٨. وهي جيدة الخط والضبط..

ولكن بعد أن انتهيت من تبييض النص وإرجاعه إلى مصادره، تبين لي أن الكتاب قد طبع في مصر طبعة ثانية عام ١٩٧٨م. بتحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا في سلسلة نوادر التراث رقم (٣) ولكنه غير عنوان الكتاب وجعله باسم (أسرار ترتيب القرآن) فكدت أعزف عن متابعة العمل ولكن عند مراجعة النص ومقابلته مع المخطوط تبين لي أن المخطوطة التي اعتمدها الأستاذ عبد القادر فيها نقص كثير وتحريف، مما دفعني لمقابلة النصين لإخراج الكتاب بصورته اللائقة.

ونسخته كما قال: «ويوجد من هذا الكتاب نسخة واحدة بمصر ضمن مجموعة رقم ٤١٩ تفسير تيمور بدار الكتب المصرية، ويقع في اثنتين وثلاثين ورقة.. والنسخة جيدة.. ويبدو أنها نسخت في عصر المؤلف ويوجد فيها بعض الاضطراب في نصوص أمكن تقويمها من أصولها».

وكان مما دفعني لمتابعة العمل ـ أيضاً ـ غير الأخطاء والنقص ـ أن الكتاب فريد في بابه يستحق النشر والطبع طبعات كثيرة، ويحتاجه كل مسلم، كما أن الطبعة المصرية تعتبر شبه مفقودة كلياً من بلادنا...

ويوجد للكتاب نسخة أخرى محفوظة في مكتبة جامعة الرياض تحت رقم ١٣٨٢م تم نسخها عام ٩٩٠ بقلم محمد البوصيري، ق ٣٢، ولكن لم أستطع الحصول عليها..

وكل ما تجده بين قوسين [.....] بدون إشارة في الهامش فهو زيادة من المخطوط.

وقد ذكر المؤلف هذا الكتاب معتزاً به في كل من كتابيه: (حسن المحاضرة) و(الاتقان).

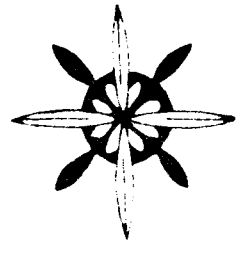

الا ثم رفعوا المصحف واخرجوا الكتبة واحرقوها فاذا فيها وتر احدى
عشرة عقدة وانزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما يقرا اية
انحلت عقدة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس لاصله
شاهد في الصحيحين بدون نزول السورتين تم الكتاب
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده
وصلى الله على النبي محمد واله الطيبين الطاهرين وسلم
تسليما دايما اللهم احسن عاقبتنا في الامور
كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الاخرة
يا رب العالمين يا امين يا رب
العالمين

وكان الفراغ من نسخه ليلة الاحد في خامس شهر ربيع الثاني
الذي هو من شهور سنة الف ومائة وثمانية واربعين ١١٤٨
على يد افقر العباد واحوجهم الى عفو ربه الكريم المنان
ابراهيم ابن احمد بن الشيخ عبد القادر
الجلوتي اقليما عفا الله له
ولوالديه ولمن قرا
في هذا الكتاب
والمسلمين
اجمعين
امين

كتاب تناسق الدرر في تناسب السور تاليف
الشيخ الامام العالم العامل العلامة الحجة الرحلة البحر
الفهامة صدر المدرسين حجة المناظرين كهف الطالبين
لسان المتكلمين محيي السنة في العالمين ابي الفضل
جلال الدين عبد الرحمن بن الشيخ العلامة كمال
الدين السيوطي افسح الله
له و[illegible] عليه
امين
تم

صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
قال الشيخ الامام العالم العامل العلامة الحجة البحر الفهامة رحلة
الطالبين عمدة المفتيين لسان المتكلمين محيي السنة في العالمين
ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الشيخ العلامة كمال
الدين السيوطي الشافعي فسح الله تعالى في مدته ونفع
المسلمين ببركته وجعلنا واياه من حزب محمد وعترته
الحمد لله الذي انزل كتابه المجيد على احسن اسلوب
وبهر بحسن اساليبه وبلاغة تراكيبه القلوب نزله ايات
بينات وفصله سورا وايات ورتبه بحكمته البالغة احسن
ترتيب ونظمه احسن نظام بافصح لفظ وابلغ تركيب
صلى الله على من انزل عليه لينذر به وذكرى ونزله على
قلبه الشريف فنفى عنه الحرج وشرح له صدرا وعلى اله وصحبه
مهاجرة ونصرا وبعد فان الله سبحانه وله الحمد من
علي بالنظر في مواقع نجومه وفتح لي ابواب التطرق الى استخراج
ما اودع فيه من علومه فلا ازال اسرح الناظر في بساتينه
من نوع الى نوع واسيح الخاطر في ميادينه فيبلغ الغرض ويرجع
وهو يقول الاروع فنقبت عن انواع علومه وكلفتها واوعيت
ما وعيت منها في دواوين اوعيتها ونقرت عن معادن معانيه
وابرزتها واوقدت عليها نار القريحة وميزتها والفت في
ذلك جامعا ومفردا ومطنبا ومقتصدا ومن خلق لشيء فانه
ييسر ومن احب شيئا اكثر من ذكره وان مما الفت في تعلقات
القران كتاب اسرار التنزيل الباحث عن اساليبه المبرز لاعاجيبه
المبين لفصاحة الفاظه وبلاغة تراكيبه الكاشف عن وجه
اعجازه الداخل الى حقيقته من مجازه المطلع على افانينه المبدع
من تقرير حججه وبراهينه فانه اشتمل على بضعة عشر نوعا الاول

مناسبات

مناسبات ترتيب سوره وحكمة وضع كل سورة موضعها الثاني بيان
ان كل سورة شارحة لما اجمل في السورة قبلها الثالث وجه اعتلاق
فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها الرابع مناسبة مطلع السورة
للمقصد التي سيقت له وذلك براعة الاستهلال الخامس
مناسبة اول السورة لاخرها السادس مناسبات ترتيب اياته
واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسقها السابع
بيان اساليبه في البلاغة وتنويع خطاباته وسياقاته
الثامن بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها
كالاستعارة والكناية والتعريض والالتفات والتورية
والاستخدام واللف والنشر والطباق والمقابلة وغير ذلك والمجاز
بانواعه وانواع الايجاز والاطناب التاسع بيان مواصل الآي
ومناسبتها للاية التي ختمت بها العاشر مناسبة اسماء السور لها
الحادي عشر بيان الالفاظ التي ظاهرها الترادف وبينها فرق
دقيق الثاني عشر بيان وجه اختيار اللفظ الذي له مرادفات
ولم يعبر به دون سائر مرادفاته الثالث عشر بيان القراءات
المختلفة مشهورها وشاذها وما تضمنته من المعاني والعلوم فان
ذلك من جملة وجوه اعجازه الرابع عشر بيان وجه تفاوت
الايات المتشابهات في القصص وغيرها بالزيادة والنقص في
التقديم والتاخير وابدال لفظ باخر ونحو ذلك وقد
اردت افراد جزء لطيف في نوع خاص من هذه الانواع وهو مناسبات
ترتيب السور لتكون عجالة بمريده وبغية لمستفيده واكثر
ذلك من نتاج فكري وولادة نظري لقلة من تكلم في ذلك او خاض في
هذه المسالك وما كان منه لغيري صرحت بعزوه اليه ولا اذكر
منه الا ما استحسن ولا انتقد عليه وقد كنت اولا سميته
نتايج الفكر في تناسب السور لكونه من مستفتحات فكري كما اشرت

اما اثيرية وكلها خيرات محضة لانها برية من الاختلالات والفطور
عليها قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت الاية واما عنصرية وهي
اما جمادات فهي خالية عن جميع القوى النفسانية فالظلمة فيها
خالصة والانوار عنها زائلة وهي المراد من قوله ومن شر غاسق
اذا وقب واما نباتات والقوة الغاذية له هي التي تزيد في الطول والعمق
معا فهذه القوة النباتية كانها تنفث في العقد واما حيوان وهو محل
القوى الثابتة كانها تنفث في العقد واما حيوانات التي تمنع الروح
الانسانية عن الانصباب الى عالم الغيب والاشتغال بقدس
جلال الله وهو المراد بقوله ومن شر حاسد اذا حسد ثم انه لم
يبق في السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الانسانية
وهي المستفيدة فلا يكون مستفادا منها فلا جرم قطع هذه السورة
وذكر بعدها في سورة الناس مراتب درجات النفس الانسانية
انتهى ولم يبين المراتب المشار اليها وقد بينها ابن الزملكاني في اسراره
فقال اضافة رب الى الناس تؤذن بان المراد بالناس الاطفال لان
المربي من ربه يربيه وهم الى التربية احوج اضافة ملك تؤذن
بارادة الشبان به اذ لفظ ملك يؤذن بالسياسة والقوة والشبان
اليها احوج واضافة اله يؤذن بان الناس مراد به الشيوخ لايذانه
بالاله المميز بالطاعة والعبادة وقوله يوسوس في صدور الناس
يؤذن بان المراد بالناس العلماء والعباد لان الوسوسة غالبا عند
الشبه وقوله من الجنة والناس يؤذن بان المراد بالناس الاشرار
وهم شياطين الانس الذين يوسوسون انتهى اخر الكتاب قال
مؤلفه نفعنا الله تعالى ببركاته في الدنيا والاخرة فرغت من
تاليفه يوم الاحد ثالث عشر شعبان سنة ثلاث
وثمانين وثمانمائة احسن الله تعالى خاتمتها
الى خير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا
امين

وكان الفراغ من نسخه
نهار الجمعة سلخ
ربيع الثاني
سنة ١١

الورقة الأخيرة

تناسق الدرر في تناسب السور

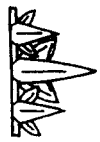

تأليـــف:

الشيخ الإمام، العالم، العلامة، الحجة، الـرحلة، البحـر الفـهـامـة، صـدر المـدرسين، حجـة المنـاظـرين، كهف الطالبين، لسان المتكلمين، محيي السنة في العالمين، أبي الفضل، جلال الدين عبد الرحمن بن الشيـخ العلامـة كمال الدين السيوطي، الشافعي كان الله له، ولا كان عليه، آمين..

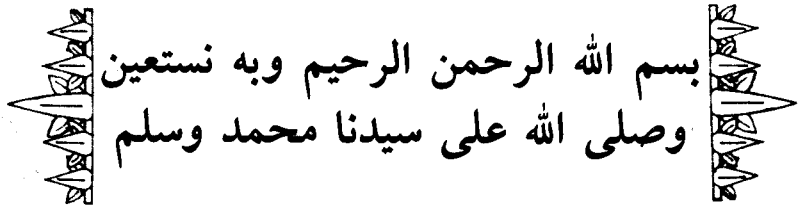

قال الشيخ الإمام العالم، العامل، الحجة، البحر الفهامة، رحلة الطالبين، عمدة المفتين، لسان المتكلمين، محيي السنة في العالمين، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الشيخ العلامة كمال الدين، السيوطي، الشافعي، فسَح الله تعالى في مدته، ونفعنا، والمسلمين ببركته، وجعلنا وإياه من حزب محمد وعترته:

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب، وبهر بحسن أساليبه، وبلاغة تراكيبه القلوب، أنزله[1] آيات بينات، وفصّله سوراً وآيات، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب، ونظمه أحسن[2] نظام بأفصح لفظ، وأبلغ تركيب.

صلى الله على من أنزل عليه لينذر به، وذكرى، ونزّله على قلبه الشريف، فنفى عنه الحرج، وشرح له صدراً، وعلى آله وصحبه مُهاجِرة ونصراً.

وبعد: فإن الله سبحانه [وله الحمد][3]، منّ عليّ بالنظر في مواقع نجومه، وفتح لي أبواب التطرق[4] إلى استخراج ما أودع فيه من علومه، فلا

---

(١) في ط : نزله.
(٢) في ط : أعظم.
(٣) زيادة من خ.
(٤) في ط : النظر فيه.

أزال أسرِّح النظر[٥] في بساتينه، من نوع إلى نوع، وأسنح[٦] الخاطر في ميادينه، فيبلغ الغرض، ويرجع، وهو يقول: لا رَوْع[٧].

فنقبت[٨] عن أنواع علومه، ولقبتها، وأودعت[٩] ما وعيت[١٠] منها في دواوين أوعبْتها[١١]، وَبَقَرْت[١٢] عن معادن معانيه وأبرزتها، وأوقدت عليها نار القريحة، وميزتها.

وألفت في ذلك جامعاً ومفرداً، ومطنباً ومقصداً، ومن خلق لشيء فاز[١٣] بيسره، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره.

وإنّ مما ألفت في تعلقات القرآن كتابَ (أسرارِ التنزيل)[١٤] الباحث عن أساليبه، المبرز أعاجيبَه، المبين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه، الكاشفَ عن وجه إعجازه، الداخلَ إلى حقيقته من مجازه، المُطْلِعَ على أفانينه، المبدعَ من تقرير حججه، وبراهينه، فإنه اشتمل على بضعة[١٥] عشر نوعاً:

الأول [أ/ ٨٩]: [بيان][١٦] مناسباتُ ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة موضعها[١٧].

---

(٥) في خ: الناظم.
(٦) في ط: أسْتَسْنح. وهو التفحص.
(٧) في خ: الأروع.
(٨) في ط: فتقت. أي: شققت وكشفت.
(٩) في خ: أوعيت.
(١٠) في ط: أوعيت.
(١١) في ط: أعيتها. وأَوْعَبَ: جمع.
(١٢) في ط: نقبت.
(١٣) في ط: فإلى تيسره.
(١٤) يسمى: (قطف الأزهار في كشف الأسرار) وهو مخطوط موجود في مكتبة مراد بخاري باستنبول برقم ٤١.
(١٥) في ط: بضع عشرة.
(١٦) زيادة من ط.
(١٧) في ط: منها.

الثاني: بيان أن كل سورة شارحة لما أُجْمِل في السورة [التي][18] قبلها.

الثالث: وجه اعتلاق فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها.

الرابع: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي[19] سيقت له، وذلك براعة الاستهلال.

الخامس: مناسبة أول[20] السورة لآخرها[21].

السادس: مناسبات ترتيب آياته واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها، وتلاحمها، وتناسقها.

السابع: بيان أساليبه في البلاغة، وتنويع خطاباته، وسياقاته.

الثامن: بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها، كالاستعارة، والكناية، والتعريض، والالتفات، والتورية، والاستخدام، واللف، والنشر، والطباق، والمقابلة، وغير ذلك.. والمجاز بأنواعه، وأنواع الإيجاز والإطناب.

التاسع: بيان فواصل الآي، ومناسبتها للآية[22] التي ختمت بها.

العاشر: مناسبة أسماء السور لها.

الحادي عشر: [بيان الألفاظ التي ظاهرها الترادف وبينها فرق دقيق]

الثاني عشر: بيان وجه اختيار اللفظ الذي له مرادفات، ولِمَ عُبِّرَ به دون سائر مرادفاته[23].

الثالث عشر: بيان القراءات المختلفة، مشهورها وشاذها، وما تضمنته من المعاني والعلوم، فإن ذلك من جملة وجوه إعجازه.

الرابع عشر: بيان وجه تفاوت الآيات المتشابهات في القصص وغيرها

---

(١٨) زيادة من ط.

(١٩) في خ: التي.

(٢٠) في ط: أوائل.

(٢١) في ط: لأواخرها.

(٢٢) في ط: للآي.

(٢٣) في ط: بيان وجه اختيار مرادفاته دون سائر المرادفات.

بالزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، وإبدال لفظ بآخر[٢٤]، ونحو ذلك..

وقد أردت [أن][٢٥] أفرد جزءاً لطيفاً في نوع خاص من هذه الأنواع، [و][٢٦] هو: مناسبات ترتيب السور، ليكون عُجالة لمريده، وبغيةً لمستفيده، وأكثر ذلك من نتاج فكري، وولادِ نظري، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك. وما كان منه لغيري صرحتُ بعزوه إليه، ولا أذكر منه إلا ما استُحْسِن، ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاً سميته:

نتائج الفكر في تناسب السور

لكونه من مستنتجات[٢٧] فكري كما أشرت [ب/٨٩] إليه.

ثم عدلت وسميته:

تناسق الدرر في تناسب السور

لأنه أنسب بالمعنى[٢٨]، وأزيد بالجناس، وبالله تعالى التوفيق، وإياه أسأل [إذاقة] حلاوة التحقيق. [بمنه ويمنه][٢٩].

* * *

(٢٤) في ط : لفظة مكان أخرى.
(٢٥) (٢٦) زيادة من ط.
(٢٧) في خ: مستفتحات.
(٢٨) في ط : بالمسمى.
(٢٩) زيادة من ط.

مقدمـــــة
[في ترتيب السور][1]

اختلف العلماء في ترتيب السور، هل هو بتوقيف من النبي ﷺ أو باجتهاد من الصحابة [رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين]؟!! بعد الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفيٌّ، والقطع بذلك.

فذهب جمهور العلماء[2] إلى الثاني، منهم: مالك، والقاضي أبو بكر في أحد قوليه، وجزم به ابن فارس، ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف علي [رضي الله تعالىٰ عنه]، كان أوله ﴿ إقرأ ﴾ ثم البواقي على ترتيب نزول المكي ثم المدني.

وكان[3] أول مصحف ابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنه] البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، على اختلاف شديد، وكذا مصحف أُبيّ[4] وغيره على ما بينته في «الاتقان» وفي «المصاحف» لابن أشتة بسنده عن عثمان [رضي الله عنه] أنه أمرهم أن يتابعوا الطوال.

وذهب إلى الأول جماعة[5]، منهم: القاضي أبو بكر في أحد قوليه، وخلائق.

قال أبو بكر ابن الأنباري:

(١) زيادة من ط.
(٢) في ط: فذهب جماعة إلى.
(٣) في ط: ثم.
(٤) في ط: أبيّ بن كعب.
(٥) في ط: وذهب جماعة إلى الأول.

«أنزل الله [تعالى] القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تتنزل لأمر يحدث[٦]، والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ، على موضع الآية والسورة، فاتساق السور، كاتساق الآيات والحروف، كله[٧] عن النبي ﷺ فمن قدم سورة أو[٨] أخرها، فقد أفسد نظم القرآن».

وقال الكرماني في «البرهان»:

«ترتيب السور هكذا، هو عند الله [تعالىٰ][٩] في اللوح المحفوظ، على هذا الترتيب، وعليه كان النبي ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين »[١٠].

وكذا قال الطيبي [رحمه الله تعالىٰ][١١].

وقال ابن الحصار:

«ترتيب السور، ووضع [أ/٩] الآيات مواضعها إنما كان بالوحي»[١٢].

وقال البيهقي في «المدخل»:

كان القرآن على عهد النبي ﷺ، مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة للحديث[١٣] الآتي فيها.

---

(٦) في ط : تنزل لأمر ينزل.

(٧) في ط : كان.

(٨) في خ : و.

(٩) زيادة من ط.

(١٠) في ط : وهو على هذا الترتيب. وكان يعرض النبي ﷺ على جبريل ما اجتمع لديه منه، وعرضه ﷺ في السنة التي توفي فيها مرتين.. وانظر كتاب البرهان المطبوع باسم (أسرار التكرار في القرآن): ٢٣.

(١١) انظر: الاتقان. ١: ٦٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١: ٥١.

(١٢) الاتقان ١: ٦٣.

(١٣) وهو حديث أخرجه ابن أشتة في (المصاحف).. عن أبي محمد القرشي، قال: «أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال فجعلت سورة الأنفال، وسورة التوبة في السبع، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم».

ومال ابن عطية [رحمه الله تعالىٰ] إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم، والمفصل، وإن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير:

الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى منها القليل يمكن أن يجري فيه الخلاف، كقوله ﷺ: «اقرؤوا الزَّهْرَاوَيْن البقرة وآل عمران» رواه مسلم(١٤).

وكحديث [سعيد بن خالد](١٥): أنه ﷺ صلى بالسبع الطوال في ركعة، وأنه كان يجمع المفصل في ركعة.. رواها(١٦) ابن أبي شيبة.

«وأنه [ﷺ](١٧) كان إذا أوى إلى فراشه قرأ قل هو الله أحد، والمعوذتين». أخرجه البخاري(١٨)، وفيه عن ابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنه] أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم وطه، والأنبياء. إنهن من العِتَاق الأُوَلْ، وهنَّ من تِلادي، [فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها]»(١٩).

وقال أبو جعفر النحاس :

المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث: «أعطيت مكان التوراة السبع الطِوَال، [وأعطيت مكان الزبور المئين]،

(١٤) مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(١٥) زيادة من ط.

(١٦) في ط: أخرجه، وقال الأستاذ عبد القادر عطا: في مجمع الزوائد ٧: ١٦٢ [رقم ١١٢٣٨] بلفظ «من أخذ السبع الطوال فهو خير». وعزاه للبزار وأحمد. وأخرج رواية أخرى ٢: ٢٧٤ [رقم ٣٦١٥]: «أنه قرأ السبع الطوال في ليلة». برواية أبي يعلىٰ. وحديث: «كان يقرأ المفصل في ركعة» أخرجه مسلم في فضائل القرآن ٢: ٢٠٤ عن ابن مسعود مطولاً وفيه: «عشرون سورة من المفصل في ركعة». والبخاري في التفسير ٦: ٢٤٠ وفيه: «ثماني عشرة سورة من المفصل».

(١٧) زيادة من ط.

(١٨) البخاري في فضائل القرآن (٩: ٥٦)، ومسلم رقم (٢١٩٢) في السلام، والموطأ (٢/٩٤٢ -)، والترمذي رقم (٣٣٩٩)، وأبو داود رقم (٣٩٠٢).

(١٩) البخاري في التفسير، سورة الأنبياء رقم (٤٧٣٩) - انظر فتح الباري (٨: ٤٣٥).

وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلت بالمفصَّل» أخرجه أحمد وغيره[٢٠].

قال:

فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ وأنه من ذلك[٢١] الوقت هكذا.

وقال [الحافظ][٢٢] ابن حجر:

ترتيب معظم السور توقيفي، لحديث أحمد وأبي داود، عن أوس [بن أبي أوس] الثقفي، قال: «كنت في وفد ثقيف، فقال [لنا] رسول الله ﷺ: «طرَأ عَليَّ حِزْبي مِن القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه» [قال أوس][٢٣] فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: تُحَزِّبُونِ القرآن، قالوا: نحزِّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة [سورة][٢٤] وثلاث عشرة [سورة] وحزب المفصل من ق حتى تختم»[٢٥] قال: فهذا يدل على أن ترتيب [ب/٩٠] السور على ما هو في المصحف الآن، كان على عهده[٢٦] ﷺ.

وقال بعضهم:

لترتيب[٢٧] وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفيّ صادر عن حكيم.

---

(٢٠) أخرجه أحمد [٣: ١٢٤]، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، عن واثلة، والطبراني عن أبي أمامة بسند ضعيف. وابن الضريس عن أبي قلابة مرسلاً ـ وانظر جمع الجوامع للسيوطي ١: ١٢٠، ومجمع الزوائد ٧: ١٥٨ [رقم ١١٢١٥ و ١١٢١٦].

(٢١) في ط: هذا.

(٢٢) (٢٣) (٢٤) زيادة من ط.

(٢٥) أخرجه أحمد ٤: ٩، ٣٤٣، وأبو داود (١٣٩٣) في الصلاة، باب تحزيب القرآن، وابن ماجة (١٣٤٥) في إقامة الصلاة، باب كم يستحب أن يختم القرآن، كلهم من حديث عبدالله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي، عن عثمان بن عبدالله بن أوس، عن جده أوس بن حذيفة، وعبد الله بن عبد الرحمن: صدوق يخطىء ويهم، وعثمان: لم يوثقه غير ابن حيان ـ انظر جامع الأصول ٢: ٤٧٥ بلفظ قريب.

(٢٦) في ط: عهد النبي.

(٢٧) في خ: الترتيب.

أحدها[٢٨]: بحسب الحروف، كما في الحواميم والراءات[٢٩].

الثاني: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها[٣٠] كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

الثالث: الوزان في اللفظ[٣١] كآخر تبت، وأول الإخلاص.

الرابع: لمشابهة جملة السور[٣٢] لجملة أخرى كالضحى، وألم نشرح.

وقال بعضهم:

إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة، ويظهر أخرى[٣٣].

وأخرج ابن أشتة[٣٤]، عن ربيعة، أنه سئل: لم قدمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قدمَتَا وأُلِّفَ القرآن على علم ممن ألفه به، ومن كان معه فيه واجتماعهم[٣٥] على علمهم بذلك، فهذا مما ينتهى إليه، ولا يُسأل عنه.

فإن قلت: فما عندك في ذلك؟ قلت: الذي عندي أولاً: تحديد[٣٦] محل الخلاف، وأنه خاص بترتيب [سور][٣٧] الأقسام الأربعة، وأما نفس الأقسام الأربعة من تقدم[٣٨]: الطوال، ثم المئين، ثم المثاني، ثم المفصل،

---

(٢٨) في ط: الأول.

(٢٩) في ط: وذوات (الر).

(٣٠) في ط: لموافقة آخر السورة لأول ما بعدها.

(٣١) في ط: الوزن في اللفظة.

(٣٢) في خ: السور.

(٣٣) في ط: لما ختمت به السورة التي قبلها ثم يخفى..

(٣٤) في ط: ابن أبي شيبة.

(٣٥) في ط: ممن ألفه. وقد اجتمعوا على علمهم. وفي المخطوط: فمن. وانظر القرطبي في تفسيره ٥٢/١ وقد ذكر الخبر وعزاه إلى ابن وهب في جامعه.

(٣٦) في ط: تحديد. وفي خ: تحرير.

(٣٧) زيادة من المطبوع.

(٣٨) في ط: تقديم.

[هكذا على سبيل الإجمال]، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي، وأن يدعي فيه الإجماع، وإن لم أرَ من سبقني إلى ذلك، وإنما دعاني إلى هذا أمران:

أحدهما: ما تقدم من الأحاديث قريباً، وحديث ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما] الآتي في الأنفال.

والثاني: أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب، اتفقت على ذلك، فإن مصحف أبيّ[٣٩]، وابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنهما] كلاهما قدم فيه الطوال، [ثم المئين]، ثم المثاني، ثم المفصل، كمصحف عثمان [رضي الله تعالىٰ عنه] وإنما اختلفا في ترتيب سور كل قسم، كما بينت ذلك في الاتقان[٤٠].

[وهذا دليل قوي في دعوى القطع بأن ذلك توقيفي].

فإذا تحرر ذلك، ونظرنا إلى محل الخلاف، فالمختار عندي في ذلك، ما قاله البيهقي[٤١]، وهو: أن [ترتيب][٤٢] كل السور توقيفية، سوى الأنفال، وبراءة.

ومما يؤيد [أ/٩١] ذلك[٤٣]:

توالي الحواميم والراءات[٤٤]، والفصل بين المسبحات، وتقديم طس على القصص، مفصولاً بها بين النظيرتين في المطلع والطول، وكذا الفصل بين الانفطار والانشقاق بالمطففين، وهما نظيرتان في المطلع والقصر[٤٥]، وهي[٤٦] أطول منهما، فلولا أنه توقيفي لحكمة، لتوالت المسبحات، وأخرت

---

(٣٩) في ط : أبي بن كعب.
(٤٠) الاتقان ١/٦٤.
(٤١) الاتقان ١/٦٣.
(٤٢) زيادة من المطبوع.
(٤٣) في ط : ومما يدل على ذلك ويؤيده.
(٤٤) في ط : ذوات (الر).
(٤٥) في ط : المقصد: بدل: القصر.
(٤٦) في ط : هما.

طس عن القصص، وأخرت المطففين أو قدمت. ولم يفصل [بالمد] بين ﴿ الر ﴾ و ﴿ المر ﴾.

وليس هنا شيء أعارض به سوى اختلاف مصحف أبيّ، وابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنهما] ولو كان توقيفاً لم يقع فيهما اختلاف كما لم يقعْ في الآيات.

وقد منَّ الله [تعالىٰ] عليَّ بجواب لذلك نفيس، وهو: أن القرآن وقع فيه النسخ كثيراً للرسم حتى لسور كاملة، وآيات كثيرة، فلا بدْعَ أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة، كالقراءات التي في مصحفه، ولم يبلغ ذلك أبياً وابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنهما] كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه[٤٧] في مصاحفهما من القراءات التي تخالف المصحف العثماني، ولذلك كتب أبيّ في مصحفه سورتي[٤٨] «الحفد والخلع» وهما منسوختان.

والحاصل[٤٩] أني أقول: ترتيب كل المصاحف بتوقيف، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على الترتيب العثماني، كما أن جميع القراءات، والمنسوخات المثبتة في مصاحفهم بتوقيف، واسنقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية، ورتب أولئك ما كان عندهم، ولم يبلغهم النسخ[٥٠].

[فهذا ما ظهر، والله سبحانه وتعالى أعلم..].

---

(٤٧) في خ : وضعوه.

(٤٨) في ط : سورة.

(٤٩) في ط : فالحاصل.

(٥٠) في ط : واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية، ورتب أولئك على ما كان عندهم، ولم يبلغهم ما استقر، كما كتبوا القراءات المنسوخة المثبتة في مصاحفهم بتوقيف، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات المنسوخات، ولم يبلغهم النسخ.

سورة الفاتحـــة

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة، لأنها جمعت [جميع] مقاصد القرآن، وكذلك من أسمائها «أم القرآن» و«أم الكتاب» و«الأساس» فصارت كالعنوان، وبراعة الاستهلال. قال الحسن البصري [رضي الله تعالى عنه]:

إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن [في][1] المفصل، ثم أودع علوم المفصل [في][2] الفاتحة، فمن عَلِمَ تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة. أخرجه البيهقي في [ب/٩١] «شعب الإيمان»[3]، في[4] بيان اشتمالها على علوم القرآن، قرره الزمخشري: باشتمالها على الثناء على الله تعالىٰ بما هو أهله، وعلى التعبد بالأمر[5] والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو عن أحد[6] هذه الأمور.

[و] قال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلٰهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر [لله تعالىٰ]، فقوله: ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ يدل على الإلٰهيات، وقوله: ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ [يدل على المعاد، وقوله: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾] يدل على

---

(١) (٢) زيادة من المطبوع.

(٣) الشعب ٢ ورقة ١/٨٧. مخطوط دار الكتب المصرية نقلاً عن المطبوع.

(٤) في ط : و، بدل: في.

(٥) في ط : والأمر والمخطوط موافق لنص الزمخشري في الكشاف ١/٤.

(٦) في ط : لا تخرج عن أحد.

نفي الجبر، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ إلى آخر السورة.. يدل على إثبات قضاء الله، وعلى النبوات، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة التي هي المقصد الأعظم من القرآن(٧).

وقال البيضاوي(٨):

هي مشتملة على الحكم النظرية، والأحكام العملية، التي هي سلوك الطريق(٩) المستقيم، والإطلاع على مراتب السعداء، ومنازل الأشقياء.

وقال الطيبي [رحمه الله تعالىٰ]:

هي مشتملة على أربعةِ أنواعٍ من العلوم التي هيَ مناط الدين:

أحدها: علم الأصول، ومعاقدة معرفة الله عز وجل وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: ﴿ **لله رب العالمين * الرحمن الرحيم** ﴾ [ومعرفة النبوات، وهي المراد بقوله: ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾.

وثانيها: علم الفروع، وأسه العبادات، وهو المراد بقوله: ﴿ **إياك نعبد** ﴾].

وثالثها(١٠): علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية، والإلتجاء إلى جناب الفردانية، والسلوك لطريقه، [و] الإستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله: [﴿ **وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم** ﴾.

ورابعها: علم القصص والإخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم، ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله](١١): ﴿ **أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾.

---

(٧) تفسير مفاتيح الغيب ١/٦٥.
(٨) تفسير البيضاوي ١/٣.
(٩) في ط : الصراط.
(١٠) في ط : ثانيها لنقص الثاني منها.
(١١) نقص من المطبوع.

قال :

وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه: أن يتضمن ما سيق الكلام لأجله.

ولهذا لا ينبغي أن يقيد [أ/٩٢] شيء من كلماته[١٢] ما أمكن الحمل على الإطلاق[١٣].

وقال الغزالي [رحمه الله تعالىٰ] في (خواص القرآن)[١٤].

مقاصد القرآن ستة: ثلاث مهمة، وثلاثة تتمة:

ـ **الأولى**: تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها.
ـ وتعريف الصراط المستقيم، [و][١٥] قد صرح به فيها.
ـ وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالىٰ، وهو الآخرة كما يشير إليه[١٦] بـ: ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾.

ـ **والأخرى**: تعريف أحوال المطيعين، كما أشير[١٧] إليه بقوله: ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾.
ـ [حكاية أقوال الجاحدين، وقد أشير إليها بـ: ﴿**المغضوب عليهم**﴾ و ﴿ **الضالين** ﴾].
ـ وتعريف منازل الطريق، كما أشير إليه بقوله: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾.

---

(١٢) في ط : كلماتها.
(١٣) وكلامه موجود في شرح الكشاف له. وهو مخطوط بالأزهرية ١/ ورقة ١/٢٩. هكذا ذكره الأستاذ عبد القادر عطا.
(١٤) في خ: جواهر، والصحيح: خواص القرآن: ص ٣٧.
(١٥) زيادة من المطبوع.
(١٦) في ط : كما أشير إليه بقوله.
(١٧) في ط : أشار.

سورة البقـــرة

قال بعض الأئمة:

تضمنت سورة الفاتحة: الإقرار بالربوبية، والإلتجاء إليه[1] في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهود والنصارى. وسورة البقرة تضمنت: قواعد الدين. وآل عمران: مكملة لمقصودها. فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها ذكر المشابه[2] لما تمسك به النصارى.

وأوْجَبَ[3] الحج في آل عمران، وأما في البقرة، فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في آل عمران [أكثر]، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأن التوراة أصل، والإنجيل فرع لها.

والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعى اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر.

كما كان دعاؤه لأهل الشرك، قبل أهل الكتاب.

ولهذا كانت[4] السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام]، فخوطب به جميع الناس.

---

(١) في ط : إليها.
(٢) في ط : ورد فيها كثير من المتشابه.
(٣) في ط : فأوجب.
(٤) في خ : كان. ويصح.

والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بـ ﴿ يا أهل الكتاب ﴾، ﴿ يا بني إسرائيل ﴾، ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾.

وأما سورة النساء فتضمنت: أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدورة لهم كالنسب والصهر.

ولهذا أفتتحت بقوله: ﴿ يا أيها الناس اتقوا[٥] ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها ﴾[٦] ثم قال: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون [ب/٩٢] به والأرحام ﴾[٧].

فانظر [إلى][٨] هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح[٩]، وبراعة الاستهلال، حيث تضمنت الآية المفتتح بها، ما أكثرُ السورة في أحكامه[١٠]، من نكاح النساء، ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثم خلق زوجه[١١] منه، ثم بث منهما رجالاً ونساء في غاية الكثرة.

[و] أما المائدة: فسورة العقود، [و] تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تم[١٢] الدين، فهي سورة التكميل، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله، ولهذا ذكر فيها ما يختص

---

(٥) زيادة من المطبوع إذ جاءت الآية تامة.

(٦) سورة النساء الآية ١.

(٧) في ط : (وقال: فاتقوا) بدل: (ثم قال: واتقوا).

(٨) زيادة من المطبوع.

(٩) في ط : والافتتاح.

(١٠) في ط : ما في أكثر السورة من أحكامه.

(١١) في ط : زوجته.

(١٢) في ط : (نهاية) بدل: (بها تم).

بشريعة محمد ﷺ [كالوضوء]، والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذي دين.

ولهذا أكثر فيها [من] لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا ورد: أنها آخر ما نزل[١٣] لما فيها من إشارات[١٤] الختم والتمام، وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب. انتهى.

وقال بعضهم:[١٥]:

افتتحت البقرة بقوله: ﴿ آلم * ذلك الكتاب ﴾[١٦] فإنه إشارة إلى الصراط [المستقيم][١٧] في قوله: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾[١٨] كأنهم[١٩] لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه [هو الكتاب]، كما أخرج ابن جرير وغيره من حديث علي مرفوعاً: الصراط المستقيم كتاب الله. وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنه] موقوفاً[٢٠].

وهذا معنىً حسن يظهر فيه [سر][٢١] ارتباط [سورة] البقرة بالفاتحة.

وقال الخويي[٢٢]: أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة، لأن

---

(١٣) انظر الحاكم في المستدرك ٢/٣٣١ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والإمام أحمد في المسند ٦/١٨٨ عن عائشة رضي الله عنها.

(١٤) في ط : إرشادات. بدل: إشارات.

(١٥) إشارة إلى برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥) صاحب تفسير (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) بعبارة قريبة ١/٧٧.

(١٦) سورة البقرة الآية ١.

(١٧) زيادة من المطبوع.

(١٨) سورة الفاتحة الآية ٦.

(١٩) في ط : فإنهم.

(٢٠) أخرج حديث ابن مسعود: وكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو بكر بن الأنباري في كتاب المصاحف، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان. الدر المنثور ١/١٥ - ابن جرير في جامع البيان ١/١٧٣ - والمستدرك ٤/٨٢.

(٢١) زيادة من المطبوع.

(٢٢) في خ : ألحق في بدل: قال الخويي.

الله تعالىٰ لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدي، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم: هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول. ثم إنه [أ / ٩٣١] ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاثة[٢٣] الذين ذكرهم في الفاتحة: فذكر الذين على هدى من ربهم، وهم المنعم عليهم، والذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضالون، والذين باؤوا بغضب [من الله][٢٤] وهم المغضوب عليهم. انتهى.

[و] أقول:

قد ظهر لي بحمد الله وجوه من[٢٥] المناسبات:

أحدها: إن القاعدة التي استقرأتها من القرآن:[٢٦] كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استمر معنى [٢٧] ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة، فقوله: ﴿ **الحمد لله** ﴾[٢٨] تفصيله: ما وقع فيها من الأمر بالذكر في عدة آيات، وبالدعاء[٢٩] في قوله: ﴿ **أجيبُ دعوة الداع إذا دعان** ﴾[٣٠] الآية ـ ومن[٣١] قوله: ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا** ﴾[٣٢] الآية. وبالشكر من[٣٣] قوله: ﴿ **فاذكروني أذْكرْكم، واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾[٣٤].

وقوله: ﴿ **رب العالمين** ﴾[٣٥] تفصيله قوله: ﴿**اعبدوا ربكم الذي**

---

(٢٣) في ط : الثلاث.
(٢٤) زيادة من المطبوع.
(٢٥) في ط : وجوهاً من هذه.
(٢٦) في ط : استقر بها القرآن أن.
(٢٧) في ط : استقر معي.
(٢٨) سورة الفاتحة الآية ١.
(٢٩) في ط : من الدعاء.
(٣٠) سورة البقرة الآية ١٨٦.
(٣١) في ط : في.
(٣٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦.
(٣٣) في ط : في.
(٣٤) سورة البقرة الآية ١٥٢.
(٣٥) سورة الفاتحة الآية ١.

خلقكم﴾ الآيتين[٣٦]، وقوله: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ الآية[٣٧].

ولهذا[٣٨] افتتحها بقصة خلق آدم الذي هو مبدأ البشر، وهو أشرف أنواع العالمين[٣٩] وذلك شرح إجمال[٤٠] ﴿رب العالمين﴾.

وقوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾[٤١] قد أومىء إليه في قصة [توبة] آدم [بقوله]: ﴿فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾[٤٢] وفي قصة إبراهيم لما سأل الرزق للمؤمنين خاصة، قال[٤٣]: ﴿ومن كفر﴾[٤٤] وذلك لكونه رحماناً، وما وقع في قصص[٤٥] بني/ إسرائيل [من قوله]: ﴿ثم عفونا عنكم﴾[٤٦] [في آيات كثيرة] إلى أن أعاد الآية بجملتها في قوله: ﴿لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾[٤٧] وذكر آية الدين إرشاداً لعباده[٤٨]، ورحمة بهم ووضع عنهم الخطأ والنسيان والإصر وما لا طاقة لهم به، وختمها بقوله: ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾[٤٩] وذلك شرح قوله ﴿الرحمن الرحيم﴾.

وقوله ﴿مالك يوم الدين﴾[٥٠] تفصيله ما وقع من ذكر يوم القيامة في

---

(٣٦) سورة البقرة الآية ٢١.
(٣٧) سورة البقرة الآية ٢٩.
(٣٨) في ط: لذلك.
(٣٩) في ط: الأنواع من العالمين.
(٤٠) في ط: لإجمال.
(٤١) سورة الفاتحة الآية ٣.
(٤٢) سورة البقرة الآية ٣٧ ـ وفي سورة طه الآية ١٢٢ عن موضوع توبة آدم عليه السلام.
(٤٣) في ط: فقال.
(٤٤) سورة البقرة الآية ١٢٦.
(٤٥) في ط: قصة.
(٤٦) سورة البقرة الآية ٥٢.
(٤٧) سورة البقرة الآية ١٦٣.
(٤٨) في ط: إرشاداً للطالبين من العباد.
(٤٩) سورة البقرة الآية ٢٨٦ والأعراف ١٥٥ والمؤمنون ١٠٩.
(٥٠) سورة الفاتحة الآية ٤.

السورة في عدة مواضع، منها قوله: ﴿ [و] **إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾[٥١] الآية. والدين: الحساب.

وقوله ﴿ **إياك نعبد** ﴾[٥٢] مجمل شامل لجميع أبواب[٥٣] الشريعة الفروعية، وقد فصلت في البقرة أبلغ تفصيل، فذكر فيها الطهارة، والحيض، والاستقبال، وطهارة المكان، والجماعة، وصلاة الخوف [ب/٩٣]، وصلاة الجمع والعي والزكاة بأنواعها [كالنبات والمعدن[٥٤]، والصوم، والاعتكاف[٥٥]، وأنواع الصدقات والبر، والخج، والعمرة، والبيع، [والربا، والسلم، والقرض، والرهن، ١الحجر، والصلح، والإبراء، والولاية، والوكالة، والإقرار، والغصب]، والإجارة، والميراث، والوصية، والوديعة، والنكاح، والصداق، والطلاق، والخلع، والرجعة، والإيلاء، والعدة، والرضاع، والنفقات[٥٦]، والقصاص، والديات، وقتال البغاة، والردة، والأشربة، والجهاد، والأطعمة، والذبائح، والأيمان، والنذور، والقضاء، والشهادات، والعتق، فهذه أبواب الشريعة كلها مذكورة في هذه السورة.

وقوله: ﴿ **إياك نستعين** ﴾ [تفصيله] شامل لعلم الأخلاق، وقد ذكر منها في هذه السورة الجم الغفير من التوبة، والصبر، والشكر، والرضى، والتفويض، والذكر، والمراقبة، والخوف، [والرجاء، والحلم]، وإلانة القول.

وقوله: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾[٥٧] إلى آخره تفسيره[٥٧] ما وقع في السورة من ذكر سيرة الأنبياء، ومن خادعهم من اليهود والنصارى، ولذلك ذكر في الكعبة أنها قبلة إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]، فهي من صراط الذين

---

(٥١) سورة البقرة الآية ٢٨٤.

(٥٢) سورة الفاتحة الآية ٥.

(٥٣) في ط: أنواع.

(٥٤) في ط: المعادن.

(٥٥) في ط: الاعتكاف والصوم.

(٥٦) في خ: البينات.

(٥٧) سورة الفاتحة الآية ٦.

(٥٧) ـ في ط: تفصيله ما وقع في السورة من ذكر طريق...

أنعم عليهم، وقد حاد عنها اليهود والنصارى معاً، وكذلك قال في قصتها: ﴿ **يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[٥٨] تنبيهاً على أنها [من] الصراط الذين سألوا الهداية إليه، ثم ذكر: ﴿ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك** ﴾[٥٩] وهم من المغضوب عليهم، والضالون الذين حادوا عن الصراط المستقيم[٦٠]، [وكذلك لما قال: ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ الآية[٦١] ذكر فيها بعث النبيين وهم المنعم عليهم، ثم ذكر اختلاف أهل الكتاب فيما جاؤوا به وهم المغضوب عليهم والضالون الذين حادوا عن طريقهم]، ثم أخبر بهدي[٦٢] الذين آمنوا إلى طريقهم، ثم قال: ﴿ **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[٦٣] وكانت[٦٤] هاتان الآيتان تفصيل إجمال: ﴿ **إهدنا . .** ﴾ إلى آخر السورة، وأيضاً قوله أول السورة: ﴿ **هدى للمتقين . .** ﴾[٦٥] إلى آخره من وصف الكتاب، إخبار بأن الصراط الذي سألوا الهداية إليه هو ما تضمنه الكتاب، وإنما يكون هدى[٦٦] لمن اتصف بما ذكر، ثم [أ/٩٤] ذكر أحوال الكفرة، ثم أحوال المنافقين، وهم اليهود، وذلك [أيضاً] تفصيل لمن حاد عن الصراط المستقيم، ولم يهتد بالكتاب، وكذلك قوله [هنا][٦٧]: ﴿ **قولوا آمنّا** ﴾[٦٨] فيها[٦٩] تفصيل النبيين المنعم عليهم، وقال في آخرها: ﴿ **لا نفرق بين أحد منهم** ﴾[٧٠] تعريضاً[٧١] بالمغضوب

(٥٨) سورة البقرة الآية ١٤٢.
(٥٩) سورة البقرة الآية ١٤٥.
(٦٠) في ط : حادوا عن طريقهم.
(٦١) سورة البقرة الآية ٢١٣.
(٦٢) في ط : بهداية.
(٦٣) سورة البقرة الآية ٢١٣.
(٦٤) في ط : فكانت.
(٦٥) سورة البقرة الآية ٢.
(٦٦) في ط : هداية.
(٦٧) زيادة من المطبوع.
(٦٨) سورة البقرة الآية ١٣٦.
(٦٩) في ط : فيه.
(٧٠) سورة البقرة الآية ١٣٦.
(٧١) في ط : تعريفاً.

عليهم، والضالين الذين فرقوا بين الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام] ولذلك قال عنهما[٧٢]: ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾[٧٣] أي إلى الصراط المستقيم، صراط المنعم عليهم، كما اهتديتم، [ولما كانت هذه الآية في البقرة المخاطب بها اليهود أعيدت في آل عمران المخاطب بها النصارى]، فهذا ما ظهر لي، والله [تعالى] أعلم بأسرار كتابه.

الوجه الثاني: أن الحديث، والإجماع على تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، وقد ذُكروا في سورة الفاتحة حسب ترتيبهم في الزمان، فعقبت[٧٤] بسورة البقرة، وجميع ما فيها [من] خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة، وما وقع فيها من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب، ثم بسورة آل عمران، وأكثر ما فيها من خطابهم للنصارى، فإن ثمانين آية من أولها نازلة في وفد نصارى نجران، كما ورد في سبب نزولها[٧٥]، وختمت بقوله: ﴿إنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾[٧٦] وهي في النجاشي وأصحابه من مؤمني النصارى، كما ورد في[٧٧] الحديث[٧٨].

وهذا وجه بديع في ترتيب السورتين. كأنه لما ذكر في الفاتحة الفريقين

---

(٧٢) في ط : عقبها بقوله..

(٧٣) سورة البقرة الآية ١٣٧.

(٧٤) في ط : عقبت.

(٧٥) جاء في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي المطبوع على هامش المصحف (١٠٠): أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع أن النصارى أتوا إلى النبي ﷺ فخاصموه في عيسى، فأنزل الله ﴿ الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ إلى بضع وثمانين آية منها. وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل ابن أبي أمامة قال: لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى الثمانين منها، أخرجه البيهقي في الدلائل.

(٧٦) سورة آل عمران الآية ١٩٩.

(٧٧) في ط : به.

(٧٨) روى النسائي عن أنس قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي، فأنزل الله ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾ وروى ابن جرير نحوه عن جابر، وفي المستدرك عن عبدالله بن الزبير قال: نزلت في النجاشي...

قص في كل سورة مما بعدها حال كل فريق على الترتيب الواقع فيها، ولهذا كان صدر سورة النساء في ذكر اليهود، وآخرها في ذكر النصارى، [وكذلك أول سورة المائدة في شأن اليهود، وآخرها في شأن النصارى].

الوجه الثالث: أن سورة البقرة أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال، ولهذا سميت [في أثر][٧٩]: «فسطاط القرآن» [الذي هو المدينة الجامعة][٨٠] فناسب تقديمها على جميع سوره.

الوجه الرابع: أنها أطول سورة في القرآن، وقد افتتح بالسبع الطوال فناسب البداءة بأطولها.

[الوجه][٨١] الخامس: [ب/٩٤] أنها أول سورة نزلت بالمدينة فناسب الابتداء بها فإن الأولية نوع من الأولوية[٨٢].

[الوجه][٨٣] السادس: أن سورة الفاتحة لما ختمت بالدعاء من المؤمنين[٨٤]، بأن لا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم و[لا][٨٥] الضالين إجمالاً، [و]ختمت سورة البقرة بالدعاء، بأن لا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وحمل الإصر، وما لا طاقة لهم به تفصيلاً.

وتضمن آخرها أيضاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله: ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾[٨٦].

---

(٧٩) زيادة من المطبوع: وأخرجه الدارمي عن خالد بن معدان ٢/٤٤٦.

(٨٠ - ٨١) زيادة من المطبوع.

(٨٢) في ط : فناسب البداءة بها، فإن الأولية نوعاً من الأولوية.

(٨٣) زيادة من المطبوع.

(٨٤) في ط : للمؤمنين.

(٨٥) زيادة من المطبوع.

(٨٦) سورة البقرة الآية ٢٨٥ وفي ط: (أحد من منهم) وهي الآية ١٣٦.

فتآخت[٨٧] السورتان وتشابهتا في المقطع [وذلك][٨٨] من وجوه المناسبة في التتالي، والتناسق، وقد ورد في الحديث[٨٩]: التأمين آخر سورة البقرة كما هو مشروع [في][٩٠] آخر الفاتحة.

فهذه ستة وجوه ظهرت لي، ولله [تعالىٰ] الحمد والمنّة.

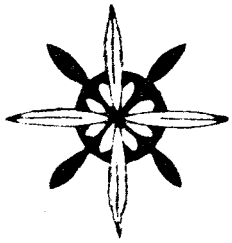

(٨٧) في خ : تواخت.

(٨٨) زيادة من المطبوع.

(٨٩) أخرج أبو عبيد، عن أبي ميسرة، أن جبريل لقن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة: آمين.
وأخرج أبو عبيد، وابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير، وابن المنذر، عن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة ﴿ **وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ قال: آمين.
وأخرج أبو عبيد، عن جبير بن نضير، أنه كان إذا قرأ خاتمة البقرة، يقول: آمين، آمين. الدر المنثور ١/٣٧٨. وتفسير ابن كثير ١/٥٠٩.

(٩٠) زيادة من المطبوع.

سورة آل عمـران

قد تقدم ما يؤخذ منه مناسبة وضعها [هنا، و] قال الإمام: لما كانت هذه السورة قرينة بسورة البقرة. وكالمكملة لها، افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك، وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم [مطلع] تلك.

وأقول: قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات.

أحدها: مراعاة القاعدة التي قررتها من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها، وذلك هنا في عدة مواضع، منها ما أشار إليه الإمام، فإن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه ﴿ لا ريب فيه ﴾[1] وقيل في آل عمران: ﴿ نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ﴾[2] وذلك بسط وإطناب لنفي الريب عنه.

ومنها: أنه ذكر في البقرة إنزال الكتاب مجملاً، وقسَّمه هنا: إلى ﴿ آيات محكمات ﴾ و﴿ متشابهات ﴾[3] لا يعلم [تأويلها][4] إلا الله.

ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾[5] [مجملاً]، وقال هنا: ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للناس ﴾[6] مفصَّلاً، وصرح

(١) سورة البقرة الآية ٢.
(٢) سورة آل عمران الآية ٣.
(٣) سورة آل عمران الآية ٧.
(٤) زيادة من المطبوع.
(٥) سورة البقرة الآية ٤.
(٦) سورة آل عمران الآية ٣ ـ ٤.

بذكر الإنجيل هنا، لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة بطولها، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة لأنها خطاب لليهود.

ومنها: أن ذِكْرَ القتالِ [أ/٩٥] وقع في [سورة][٧] البقرة مجملاً، بقوله: ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله** ﴾[٨] وقوله: ﴿ **كتب عليكم القتال** ﴾[٩]، وفصلت هنا قصة أُحد بكمالها[١٠].

ومنها: أنه أوجز في البقرة ذكر المقتولين في سبيل الله، بقوله: ﴿ **أحياء** ﴾[١١] وزاد هنا: ﴿ **عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾[١٢] الآيتين. وذلك إطناب عظيم.

ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ **والله يؤتي ملكه من يشاء** ﴾[١٣] وقال هنا: ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء** ﴾[١٤] الآية. فزاد إطناباً وتفصيلاً.

ومنها: أنه حذر من الربا في البقرة ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً، وزاد هنا ﴿ **أضعافاً مضاعفة** ﴾[١٥] وهو[١٦] بيان وبسط.

ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿**وأتموا الحج** ﴾[١٧] وذلك إنما يدل على الوجوب إجمالاً، وفصله هنا بقوله: ﴿ **ولله على الناس حج البيت** ﴾[١٨] وزاد بيان شرط الوجوب، بقوله: ﴿ **من استطاع إليه سبيلاً** ﴾[١٩]، ثم زاد تفكير من جحد وجوبه، بقوله: ﴿ **ومن كفر** ﴾[٢٠] [الآية].

(٧) زيادة من المطبوع.
(٨) سورة البقرة الآية ١٩٠.
(٩) سورة البقرة الآية ٢١٦.
(١٠) في خ: لكمالها.
(١١) سورة البقرة الآية ١٥٤.
(١٢) سورة آل عمران الآية ١٦٩- ١٧٠.
(١٣) سورة البقرة الآية ٢٤٧.
(١٤) سورة آل عمران الآية ٢٦.
(١٥) سورة آل عمران الآية ١٣٠.
(١٦) في ط: وذلك.
(١٧) سورة البقرة الآية ١٩٦.
(١٨) (١٩) (٢٠) سورة آل عمران الآية ٩٧.

ومنها: أنه قال في البقرة في أهل الكتاب: ﴿ ثم توليتم إلا قليلاً منكم ﴾[٢١] فأجمل القليل، وفصله هنا، بقوله: ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ﴾[٢٢] الآيتين.

ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ قل أتحاجونا في الله ﴾ إلى قوله: ﴿ ونحن له مخلصون ﴾[٢٣] فدل بها على تفضيل هذه الأمة [على اليهود][٢٤] تعريضاً لا تصريحاً، وكذلك قوله: ﴿ جعلناكم أمة واسطاً ﴾[٢٥] في تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بلفظ فيه يسير إبهام، وأتى في هذه السورة بصريح البيان، فقال: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[٢٦] فقوله[٢٧] ﴿ كنتم ﴾ أصرح في قدم ذلك من ﴿ جعلناكم ﴾.

ثم زاد [بيان] وجه الخيرية، بقوله: ﴿ تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله ﴾[٢٨].

[ومنها: أنه ذكر الردة في البقرة بأوجز مما ذكره في هذه السورة].

ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾[٢٩] الآية. وبسط الوعيد عليه هنا بقوله: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيْمَانهم ثمناً قليلاً ﴾[٣٠] الآية. وصدَّره، بقوله: [ب/٩٥] ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه ﴾[٣١] الآيتين.

فهذه عدة مواضع وقعت في البقرة مجملة، وفي آل عمران تفصيلها.

(٢١) سورة البقرة الآية ٨٣.
(٢٢) سورة آل عمران الآية ١١٣- ١١٤.
(٢٣) سورة البقرة الآية ١٣٩.
(٢٤) زيادة من المطبوع.
(٢٥) سورة البقرة الآية ١٤٣.
(٢٦) سورة آل عمران الآية ١١٠.
(٢٧) زيادة من المطبوع.
(٢٨) سورة آل عمران الآية ١١٠.
(٢٩) سورة البقرة الآية ١٨٨.
(٣٠) سورة آل عمران الآية ٧٧.
(٣١) سورة آل عمران الآية ٧٥. وفي ط : وإن من أهل. وهو خطأ.

الوجه الثاني: أن بين هذه السورة وسورة [البقرة][٣٢] إتحاداً شديداً، وتلاحماً متأكداً[٣٣] لما تقدم من أن البقرة، بمنزلة [إقامة الحجة، وهذه بمنزلة] إزالة[٣٤] الشبهة، ولهذا تكرر فيها[٣٥] ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب من إنزال الكتاب وتصديقه للكتب قبله، والهدي إلى الصراط المستقيم.

وتكررت [هنا][٣٦] آية: ﴿ **قولوا آمنا بالله، وما أنزل..** ﴾[٣٧] بكمالها، ولذلك أيضاً ذكر في هذه ما هو تال لما ذكر في تلك، أو لازم في تلك، أو لازمٌ له، فذكر هناك[٣٨] خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده.

وألطف من ذلك: أنه افتتح البقرة بقصة آدم [عليه السلام] حيث خلقه من غير أب ولا أم، وذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى [عليه السلام] ولذلك ضرب له المثل بآدم [عليه السلام] واختصت البقرة بآدم، لأنها أول السور، وآدم أول في الوجود وسابق، ولأنها الأصل.

وهذه كالفروع والتتمة لها فخصت بالأغرب[٣٩]، ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا، وأنكروا وجود ولد بلا أب، ففوتحوا بقصة آدم [عليه السلام] لتثبت في آذانهم[٤٠] فلا تأتي قصة عيسى [عليه السلام] إلا وقد ركن[٤١] عندهم ما يشهد لها[٤٢] من جنسها، ولأن قصة عيسى قيست

---

(٣٢) زيادة من المطبوع.
(٣٣) في خ: اتحاد شديد وتلاحم متأكد.
(٣٤) في خ: إقامة.
(٣٥) في ط: هنا.
(٣٦) زيادة من المطبوع.
(٣٧) سورة البقرة الآية ١٣٦.
(٣٨) أي في البقرة.
(٣٩) في ط: ومختصة بالإعراب.
(٤٠) في ط: أذهانهم.
(٤١) في ط: ذكر.
(٤٢) في ط: يشبهها.

على قصة آدم في قوله: ﴿ كَمَثَلِ آدم ﴾[٤٣] الآية، والمقيس عليه، لا بد وأن يكون معلوماً لتتم الحجة بالقياس، فكانت قصة آدم، والسورة التي هي فيها جديرة بالتقديم[٤٤].

ومن وجوه تلازم السورتين أنه قال في البقرة، في قصة[٤٥] النار: ﴿ أعدت للكافرين ﴾[٤٦]، ولم يقل في الجنة: أعدت للمتقين، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معاً، وقال ذلك في آل عمران في قوله: ﴿ جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾[٤٧] فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة، وبذلك يعرف أن تقديم آل عمران على النساء أنسب من تقديم النساء عليها.

وأمر آخر استقريته، وهو أنه إذا [أ/٩٦] وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد.

وفي السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسب لأولها، وآخر آل عمران مناسب لأول البقرة، فإنها افتتحت بذكر ﴿ المتقين ﴾[٤٨] وأنهم ﴿ المفلحون ﴾[٤٩] وختمت آل عمران، بقوله: ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[٥٠] وافتتحت البقرة بقوله: [﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ الآية، وختمت آل عمران بقولـه][٥١]: ﴿وإن من أهل

---

(٤٣) سورة آل عمران الآية ٥٩.
(٤٤) في ط : بالتقدم.
(٤٥) في ط : خفة.
(٤٦) سورة البقرة الآية ٢٤.
(٤٧) سورة آل عمران الآية ١٣٣.
(٤٨) سورة البقرة الآية ٢.
(٤٩) سورة البقرة الآية ٥.
(٥٠) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.
(٥١) نقص من المخطوط. وانظر سورة البقرة: ٤.

الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم ﴾[٥٢] فللّه الحمد على ما ألهم.

وقد ورد أنه لما نزل[٥٣]: **﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾**[٥٤] قالت[٥٥] اليهود: يا محمد، افتقر ربك، فسأل عباده القرض، فنزل [قوله]: **﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير، ونحن أغنياء ﴾**[٥٦] وذلك أيضاً من تلازم السورتين.

ووقع في البقرة حكاية عن إبراهيم: **﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ﴾**[٥٧] الآية.

ونزل في هذه: **﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم ﴾**[٥٨][وذلك أيضاً من تلازم السورتين][٥٩].

* * *

(٥٢) سورة آل عمران الآية ١٩٩.
(٥٣) في ط : نزلت.
(٥٤) سورة البقرة الآية ٢٤٥.
(٥٥) في ط : قال.
(٥٦) سورة آل عمران الآية ١٨١ وانظر أسباب النزول ص ١٤٦.
(٥٧) سورة البقرة الآية ١٢٩.
(٥٨) سورة آل عمران الآية ١٦٤.
(٥٩) زيادة من المطبوع.

سـورة النسـاء

قد تقدم وجهٌ في[1] مناسبتها.

وأقول: هذه السورة ـ أيضاً ـ شارحة لبقية مجملات سورة البقرة.

فمنها: أنه أجمل في البقرة، قوله: ﴿ **اعبدوا ربكم الذي خلقكم، والذين من قبلكم، لعلكم تتقون** ﴾[2].

وزاد هنا قولَه: ﴿ **خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾[3].

وانظر: لما كانت آية التقوى في سورة[4] البقرة غاية، جعلها في أول [هذه][5] السورة التي هي تالية[6] لها مبدأ.

ومنها: أنه أجمل في البقرة: ﴿ **اسكن أنت وزوجك** ﴾[7] وبيّن هنا أن زوجه خلقت منه، في قوله: ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾.

ومنها: أنه أجمل في البقرة آية اليتامى، وآية الوصية، والميراث،

---

(١) في ط : تقدمت وجوه مناسبتها.
(٢) سورة البقرة الآية ٢١.
(٣) سورة النساء الآية ١.
(٤) في خ : آية، وحذفت قبل التقوى.
(٥) زيادة من المطبوع.
(٦) في ط : في أول هذه السورة التالية.
(٧) سورة البقرة الآية ٣٥.

والوارث، في قوله: ﴿ **وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾[٨] وفصل ذلك في هذه السورة أبلغ تفصيل.

[ومنها: أنه] فصل هنا من الأنكحة ما أجمل[٩] هناك.

[ومنها]: أنه[١٠] قال في البقرة: ﴿ **ولأَمة مؤمنة خير من مشركة** ﴾[١١] فذكر نكاح الأمة إجمالاً، وفصل هنا شروطه.

ومنها: أنه ذكر الصداق في البقرة مجملاً بقوله: ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً** ﴾[١٢] وشرحه هنا مفصلاً.

ومنها: أنه ذكر هناك الخلع، وذكر هنا أسبابه، ودواعيه من النشوز وما يترتب عليه، [والشقاق] وبعث الحكمين.

ومنها: أنه فصّل هنا وبين أحوال[١٣] المجاهدين، وتفضيلهم درجات، والهجرة، وما وقع هناك مجملاً أو مرمّزاً[١٤].

* * *

وفيها: من الاعتلاق [ب/٩٦] بسورة الفاتحة، تفسير: ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾[١٥] في[١٦] قوله: ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين** ﴾[١٧].

وأما وجه اعتلاقها بآل عمران فمن وجوه:

---

(٨) سورة البقرة الآية ٢٣٣.
(٩) في ط : أجمله.
(١٠) في ط : فإنه.
(١١) سورة البقرة الآية ٢٢١.
(١٢) سورة البقرة الآية (٢٢٩).
(١٣) في ط : من أحكام. بدل: بين أحوال.
(١٤) في ط : مرموزاً.
(١٥) سورة الفاتحة الآية ٧.
(١٦) في ط : بقوله.
(١٧) سورة النساء الآية ٦٩.

منها: أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به، وذلك من أكد[١٨] وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع، يسمى تشابه الأطراف.

ومنها: أن سورة آل عمران ذكرت[١٩] فيها قصة أحد مستوفاة، وذكر في هذه السورة ذيلُها، وهو قوله: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾[٢٠] فإنها نزلت لما اختلف الصحابة [رضي الله تعالىٰ عنهم] فيمن رجع من المنافقين من غزوة أُحد، كما في الحديث[٢١].

ومنها: أن في آل عمران ذكر[٢٢] الغزوة التي بعد أُحد في قوله[٢٣]: ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القَرْح ﴾[٢٤] الآيات، وأشير إليها [هنا][٢٥] بقوله: ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون ﴾[٢٦] الآية.

وبهذين الوجهين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنه] لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران وتابعه ولاحقه[٢٧]، فكان بالتأخير أنسب.

ومنها: أنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى [عليه السلام] بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم، وفي ذلك تبرئة لأمه، خلافاً لما زعمته[٢٨]

(١٨) في ط : وهذا من أكبر.
(١٩) في ط : ذكر.
(٢٠) سورة النساء الآية ٨٨.
(٢١) قال السيوطي في أسباب النزول (١٦٣- ١٦٥): روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع أناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين، فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا، فأنزل الله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾.
(٢٢) في ط : ذكرت.
(٢٣) في ط : بقوله.
(٢٤) سورة آل عمران الآية ١٧٢.
(٢٥) زيادة من المطبوع.
(٢٦) سورة النساء الآية ١٠٤.
(٢٧) في ط : لاحقه وتابعه.
(٢٨) في ط : زعم.

اليهود. وتقريراً[٢٩] لعبوديته خلافاً لما ادعته النصارى [و][٣٠] ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً، فرد على اليهود بقوله: ﴿ **وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** ﴾[٣١]. وعلى النصارى بقوله: ﴿ **لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه** ﴾[٣٢] إلى قوله: ﴿**لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله**﴾[٣٣].

ومنها: أنه لما ذكر في آل عمران ﴿ **إني متوفيك، ورافعك إليّ** ﴾[٣٤] ردّ هنا على من زعم قتله بقوله: ﴿ **وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾[٣٥] إلى قوله: ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾[٣٦].

ومنها: أنه لما قال في آل عمران في المتشابه: ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به** ﴾[٣٧] قال هنا: ﴿ **لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك** ﴾[٣٨] [أ/٩٧] الآية.

ومنها: أنه لما قال في آل عمران: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا** ﴾[٣٩] فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية، ليعلم ما أُحِل من ذلك فيقتصر عليه، وما حُرِّم فلا يتعدى إليه، لميل النفس إليه، ففصل[٤٠] في هذه السورة أحكام

(٢٩) في ط : تقرير.
(٣٠) زيادة من المطبوع.
(٣١) سورة النساء الآية ١٥٦
(٣٢) سورة النساء الآية ١٧١.
(٣٣) سورة النساء الآية ١٧٢.
(٣٤) سورة آل عمران الآية ٥٥.
(٣٥) سورة النساء الآية ١٥٧.
(٣٦) سورة النساء الآية ١٥٨.
(٣٧) سورة آل عمران الآية ٧.
(٣٨) سورة النساء الآية ١٦٢.
(٣٩) سورة آل عمران الآية ١٤.
(٤٠) في ط : فقد جاء.

النساء، ومباحاتها، [ومحرماتها] للإبتداء بها في الآية [السابقة من آل عمران][41]، ولم يحتج إلى تفصيل البنين لأن الأولاد أمر لازم للإنسان[42] لا يترك منهم شيء كما يترك من النساء، فليس فيهم محرم يحتاج[43] إلى بيانه، و مع ذلك أشير إليهم في قوله: ﴿ **وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا** ﴾[44].

ثم فصل في سورة المائدة أحكام السرّاق، وقطاع الطريق لتعلقهم بالذهب والفضة الواقع[45] في الآية بعد النساء والبنين.. ووقع في [سورة][46] النساء إشارة إلى ذلك في قسمة المواريث.

ثم فصل في سورة الأنعام أمر الأنعام[47] والحرث، وهو بقية المذكور في الآية[48].

فانظر إلى هذه اللطيفة التي منّ الله بإلهامها!!؟.

ثم ظهر لي أن سورة النساء: فصل فيها ذكر البنين أيضاً لأنه لما أخبر بحب الناس لهم، وكان من ذلك إيثارهم على البنات في الميراث، وتخصيصهم به دونهن، تولى قسمة الميراث[49] بنفسه، وقال[50]: ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾[51] وقال: ﴿ **للرجال نصيب** ﴾[52] الآية. رداً[53] على ما كانوا يصنعون من تخصيص البنين

(٤١) زيادة من المطبوع.
(٤٢) في ط : لأن تحريم البنين لازم.
(٤٣) في ط : مباح فيحتاج.
(٤٤) سورة النساء الآية ٩.
(٤٥) في ط : الواقعين.
(٤٦) زيادة من المطبوع.
(٤٧) في ط : الحيوان.
(٤٨) في ط : في آية آل عمران.
(٤٩) في ط : المواريث.
(٥٠) في ط : فقال.
(٥١) سورة النساء الآية ١١.
(٥٢) سورة النساء الآية ٧.
(٥٣) في ط : فرد.

بالميراث لحبهم إياهم[٥٤]، فكان ذلك تفصيلاً لما يحل ويحرم من إيثار البنين اللازم عن الحب، وفي ضمن ذلك تفصيل لما يحل للذكور[٥٥] أخذه من الذهب والفضة وما يحرم.

ومن الوجوه المناسبة لتقديم آل عمران على النساء، إشتراكها مع البقرة بالافتتاح[٥٦] بإنزال الكتاب، وفي الافتتاح بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة، كيونس وتواليها، ومريم، وطٰه، والطواسين[٥٧]، والم العنكبوت وتواليها، والحواميم، وفي ذلك أدل دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور، ولم يفرق بين سورتين[٥٨] من ذلك بما ليس مبدوءاً به، سوى بين [ب/٩٧] الأعراف ويونس اجتهاداً لا توقيفاً [كما سيأتي].

و [أما] الفصل بالزمر بين صاد، وحٰم[٥٩]، [فلأن (صاد) ليست على نسق الحواميم، على أن أول الزمر حٰم في مصحف ابن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ فاتسقت تسعة سورٍ ولاءً].

ومن الوجوه في ذلك أيضاً: اشتراكهما في التسمية بالزهراوين في حديث: «اقرؤوا الزَّهْرَاوَيْن البقرة وآل عمران»[٦٠]. فكان افتتاح القرآن بهما نظير[٦١] اختتامه بسورتي الفلق والناس، المشتركتين[٦٢] في التسمية بالمعوذتين.

(٥٤) في ط : لهم.
(٥٥) في ط : للذكر.
(٥٦) في ط : في الإفتتاح.
(٥٧) في خ : الطواسيم.
(٥٨) في ط : السورتين.
(٥٩) في ط : بين (حٰم) غافر و(ص) وسيأتي.
(٦٠) أخرجه مسلم برقم ٨٠٤ في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، إقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة وكأنهما غمامتان ـ أو غيايتان ـ أو كأنهما فرقان من طير صواف، تُحاجّان عن صاحبهما، إقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». والبطلة: السحرة.
(٦١) في خ: نظر.
(٦٢) في خ : المشتركين.

سورة المائدة

[و][1] قد تقدم وجه في مناسبتها.

وأقول: هذه السورة ـ أيضاً ـ شارحة لبقية مجملات سورة البقرة، فإن آية الأطعمة والذبائح فيها أبسط منها في البقرة.

وكذا: ما حرمه الكفار تبعاً لآبائهم في البقرة موجز، وفي هذه السورة مطنب أبلغ إطناب، في قوله: ﴿ **ما جعل الله من بَحِيرة**. . . ﴾[2] الآيتين.

وفي البقرة ذكر القصاص في القتلى، وهنا: ذكر أول من سنّ القتل، والسبب الذي لأجله وقع، وقال: ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ﴾[3] وذلك أبسط من قوله: ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾[4].

وفي البقرة: ﴿ **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية** ﴾[5] وذكرت[6] قصتها هنا [مطولة.

وذكر في البقرة من ارتد مقتصراً عليه، وقال هنا]: ﴿ **فسوف يأتي**

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة المائدة الآية ١٠٣.
(٣) سورة المائدة الآية ٣٢.
(٤) سورة البقرة الآية ١٧٩.
(٥) سورة البقرة الآية ٥٨.
(٦) في ط : ذكر في.

الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾[٧].

وفي البقرة قصة الأيمان موجزة، وزادها هنا بسطاً بذكر الكفّارة.

وفي البقرة: قال في الخمر والميسر: ﴿ فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾[٨] وزاد في هذه السورة في ذمها[٩]، وصرح بتحريمهما.

* * *

وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة، بيان: ﴿ المغضوب عليهم ﴾ و﴿ الضالين ﴾ في قوله: ﴿ قل هل أنبئكم بِشَرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه.. ﴾[١٠] الآية. وقوله: ﴿ قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل ﴾[١١].

* * *

وأما اعتلاقها بسورة النساء، فقد ظهر لي فيه وجه بديع جداً: وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحاً وضمناً.

فالصريح: عقود الأنكحة، وعقد الصداق، وعقد الحلف في قوله ﴿ والذين عقدت [أ/٩٨] أيمانكم، فآتوهم نصيبهم ﴾[١٢] وعقد الأيمان في هذه الآية، و[بعد ذلك][١٣] عقد المعاهدة والأمان في قوله: ﴿ إلا الذين يَصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾[١٤] وقوله: ﴿ وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فَدِيَةٌ ﴾[١٥].

والضمني: عقد الوصية، والوديعة، والوكالة، والعارية، والإجارة، وغير

---

(٧) سورة المائدة الآية ٥٤.
(٨) سورة البقرة الآية ٢١٩.
(٩) في خ: في ذمها وفي المطبوع: ذمها.
(١٠) سورة المائدة الآية ٦٠.
(١١) سورة المائدة الآية ٧٧.
(١٢) سورة النساء الآية ٣٣.
(١٣) زيادة من المطبوع.
(١٤) سورة النساء الآية ٩٠.
(١٥) سورة النساء الآية ٩٢.

ذلك [من][16] الداخل في عموم قوله: ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾[17] فناسب أن يُعَقَّب بسورة مفتتحة بالأمر [بالوفاء][18] بالعقود، وكأنه قيل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾[19] التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت، فكان ذلك غاية [في][20] التلاحم، والتناسق[21] والإرتباط.

ووجه آخر في تقديم سورة النساء، وتأخير سورة المائدة: وهو أن تلك أولها: ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ وفيها الخطاب بذلك في مواضع، وهو أشبه بخطاب الكفار[22]، [وتنزيل المكي.

وهذه أولها: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ وفيها الخطاب بذلك في مواضع، وهو أشبه بخطاب المدني]. وتقديم العام وشبه المكي أنسب.

ثم إن هاتين السورتين في التلازم[23]، والاتحاد، نظير البقرة وآل عمران فتلكما[24] في تقرير الأصول من الوحدانية، والكتاب والنبوة.

وهاتين[25] في تقرير الفروع الحكمية.

وقد ختمت المائدة بصفة القدرة كما افتتحت النساء بذلك، فافتتحت[26] النساء ببدء الخلق، وختمت المائدة بالمنتهى من البعث

---

(١٦) زيادة من المطبوع.
(١٧) سورة النساء الآية ٥٨.
(١٨) زيادة من المطبوع.
(١٩) سورة المائدة الآية ١.
(٢٠) زيادة من المطبوع.
(٢١) في ط : التناسب.
(٢٢) في ط : المكي بدل الكفار.
(٢٣) في ط : التقديم بدل التلازم.
(٢٤) في خ : فتيناس اتحدا.
(٢٥) في ط : هاتان.
(٢٦) في ط : وافتتحت.

والجزاء، وكأنها[٢٧] سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى.

ولما وقع في سورة النساء: ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس** ﴾[٢٨] الآيات. وكانت[٢٩] نازلة في قصة سارق سرق درعاً. فصَّل في سورة المائدة أحكام السارقين[٣٠]، والخائنين ولما ذكر [في سورة النساء][٣١] أنه أنزل إليه[٣٢] الكتاب [بالحق] ليحكم بين الناس، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل الله حتى بين الكفار، وكرر ذكر[٣٣] من لم يحكم بما أنزل الله.

فانظر إلى هذه السور الأربعة المدنيات، وحسن ترتيبها، وتلاحمها، وتناسقها، وتلازمها، وقد افتتحت بالبقرة التي هي أول ما نزل في المدينة، وختمت بالمائدة التي هي آخر ما نزل بها كما في حديث الترمذي[٣٤].

* * *

(٢٧) في ط : فكأنهما.
(٢٨) سورة النساء الآية ١٠٥.
(٢٩) في ط : فكانت.
(٣٠) في ط : السراق.
(٣١) زيادة من المطبوع.
(٣٢) في ط : إليك.
(٣٣) في خ : كرر ذلك من.. وفي ط : كرر قوله: ومن...
(٣٤) ـ الترمذي ـ في التفسير آخر سورة نزلت المائدة والفتح ٨/٤٣٦- ٤٣٧ تحفة الأحوذي.

سـورة الأنعـام

قال بعضهم: [ب/٩٨].

مناسبة هذه السورة لآخر المائدة: أنها افتتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء وهما متلازمتان، كما قال: ﴿ **وقضي بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾[١].

[وأقول]: قد ظهر لي بفضل الله مع ما قدمت الإشارة إليه في آية ﴿ **زين للناس** ﴾[٢] أنه لما ذكر في آخر المائدة: ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** ﴾[٣] على سبيل الإجمال، افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ بذكر أنه خلق السماوات والأرض، وضم إليه أنه ﴿ **جعل الظلمات والنور** ﴾[٤] وهو بعض ما تضمنه [قوله][٥]: ﴿ **وما فيهن** ﴾ [في آخر المائدة][٦].

وضمَّن قوله: ﴿ **الحمد لله** ﴾ أن له ملك جميع المحامد، وهو من بسط «جميع»: ﴿ **لله ملك السماوات والأرض وما فيهن** ﴾[٧].

ثم ذكر: أنه خلق النوع الإنساني، وقضى له أجلاً آخر للبعث، وأنه منشىء القرون قرناً بعد قرن.

(١) سورة الزمر الآية ٧٥، وانظر نظم الدرر في تناسق الآيات والسور للعلامة البقاعي ٢/٧ـ ٣.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤.
(٣) سورة المائدة الآية ١٢٠.
(٤) سورة الأنعام الآية ١.
(٥) (٦) (٧) زيادة من المطبوع.

ثم قال: ﴿ قل لمن ما في السماوات والأرض، قل: لله ﴾[٨] فأثبت له ملك جميع [المنظورات. ثم قال: ﴿ وله ما سكن في الليل والنهار ﴾[٩] فأثبت له ملك جميع][١٠] المظروفات في[١١] الزمان.

ثم ذكر [أنه][١٢] خلق سائر الحيوان من الدواب والطير، ثم خلق النوم، واليقظة، والموت، [والحياة][١٣].

ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لما فيهن من النِّيْرَين والنجوم، وفلق الإصباح، وفلق[١٤] الحب والنوى، وإنزال الماء، وإخراج النبات والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات، وغير معروشات، والأنعام [ومنها][١٥] حمولة وفرشاً، وكل ذلك تفصيل لملكه ﴿ ما فيهن ﴾. وهذه مناسبة جليلة!!.

ولما[١٦] كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك أكثر فيها من ذكر الرب الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشىء، واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني، والملكوتي، والملكي، والشيطاني، والحيواني، والنباتي.

وما تضمنته من الوصايا فكلها متعلقة بالمعاش، والقوام[١٧] الدنيوي. ثم أشار إلى أشرطة الساعة [والبعث].

فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها.

---

(٨) سورة الأنعام الآية ١٢.
(٩) سورة الأنعام الآية ١٣.
(١٠) زيادة من المطبوع.
(١١) في ط : لظرفي. وفي خ : في.
(١٢) (١٣) زيادة من المطبوع.
(١٤) في ط : خلق.
(١٥) زيادة من المطبوع.
(١٦) في ط : ثم لما.
(١٧) في ط : متعلق بالقوام والمعاش.

وظهر[١٨] بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها وتقديمها على ما تقدم نزوله منها [أ/٩٩] وهي [في][١٩] جمعها الأصول والعلوم والمصالح الدنيوية، نظير سورة البقرة في جمعها [الأصول و] العلوم والمصالح الدينية، وما ذكر فيها من العبادات المحضة فعلى وجه الاختصار[٢٠] والإيماء، كنظير ما وقع في البقرة من علوم بدء الخلق ونحوه، فإنه فيها على وجه الإيجاز[٢١] والإشارة.

فإن قلت: فَلِمَ لا أفتتح القرآن بهذه السورة مقدمة على سورة البقرة، لأن بدء الخلق سابق[٢٢] على الأحكام والتعبُّدات؟!.

قلت: للإشارة إلى أن مصالح الدين والآخرة مقدمة على مصالح المعاش والدنيا، ولأن[٢٣] المقصود [من الخلق] إنما هو العبادة، فقدم ما هو الأهم في نظر الشرع، ولأن علم بدء الخلق كالفضْلَة، وعلم الأحكام والتكاليف متعين على كل أحد[٢٤]، فلذلك لا ينبغي النظر في علم بدء الخلق، وما جرى مجراه من التواريخ، إلا بعد النظر في علم الأحكام وإتقانه.

ثم ظهر لي [بحمد الله][٢٥] وجه آخر أتقن مما تقدم: وهو أنه لما ذكر في سورة المائدة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا** . . . ﴾[٢٦] إلى آخره، [ثم ذكر بعده ﴿ **ما جعل الله من بَحيرة** . . ﴾[٢٧] إلى آخره]. فأخبر عن الكفار أنهم حرَّموا أشياء مما رزقهم

(١٨) في ط : فظهر.
(١٩) زيادة من المطبوع.
(٢٠) في ط : سبيل الإختصار.
(٢١) في ط : سبيل الإيجاز.
(٢٢) في ط : مقدَّم.
(٢٣) في ط : أن.
(٢٤) في ط: علوم . . . واحد.
(٢٥) زيادة من المطبوع.
(٢٦) سورة المائدة الآية ٨٧.
(٢٧) سورة المائدة الآية ١٠٣.

الله، افتراء على الله[٢٨]، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرِّموا شيئاً من ما أحل الله فيشابهوا بذلك الكفار في صنيعهم، وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز..

ساق هذه السورة لبيان ما حرمه الكفار [في صنيعهم][٢٩]، فأتى به على الوجه الأبين، والنمط الأكمل، ثم جادلهم فيه، وأقام الدلائل على بطلانه، وعارضهم وناقضهم إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة.. فكانت هذه السورة شرحاً لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإجمال، وتفصيلاً، وبسطاً، وإتماماً، وإطناباً، وافتتحت بذكر الخلق والملك، لأن الخالق [و][٣٠] المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحة ومنعاً، [و][٣١] تحريماً وتحليلاً، فيجب أن لا يتعدى عليه بالتصرف في ملكه.

* * *

وكانت هذه السورة بأسرها متعلقة بالفاتحة من وجهة كونها شارحة لإجمال[٣٢] ﴿ **رب العالمين** ﴾.

* * *

وبالبقرة[٣٣] من حيث كونها شرحاً لإجمال قوله: ﴿ **الذي خلقكم والذين من قبلكم** ﴾[٣٤] وقوله: ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾[٣٥].

* * *

وبآل [ب/٩٩] عمران من جهة تفصيلها لقوله: ﴿ **والأنعام**

---

(٢٨) في ط : عليه. بدل: على الله.
(٢٩) (٣٠) (٣١) زيادة من المطبوع.
(٣٢) في خ : لإكمال.
(٣٣) في ط : للبقرة.
(٣٤) سورة البقرة الآية ٢١.
(٣٥) سورة البقرة الآية ٢٩.

والحرث ﴾[٣٦] وقوله: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[٣٧] الآية.

* * *

وبالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق، والتقبيح لما حرموه على أزواجهم، وقتل البنات: بالوأد[٣٨].

* * *

وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها.

* * *

وفي افتتاح السور المكية بها وجهان آخران من المناسبة:

الأول: افتتاحها بالحمد.

والثاني: مشابهتها للبقرة المفتتح بها السور المدنية من حيث أن كلاً منهما نزل مشيعاً ففي حديث أحمد[٣٩]: «البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون مَلكاً».

وروى الطبراني[٤٠] وغيره من طرق: «أن الأنعام شيعها سبعون ألف ملك».

وفي رواية[٤١]: «خمس مئة ملك».

---

(٣٦) سورة آل عمران الآية ١٤.

(٣٧) سورة آل عمران الآية ١٨٥.

(٣٨) في خ: بالمؤودة.

(٣٩) أخرجه أحمد ٥/٢٦، ومحمد بن نصر، والطبراني، بسند صحيح، عن معقل بن يسار. الدر المنثور ١/٢٠.

(٤٠) أخرجه أبو عبيد وابن الضريس في فضائلهما، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه. الدر المنثور ١/٢٠، وانظر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٩ - ٢٠ [رقم ١٠٧٢٦]. وفيه: أنزلت جملة واحدة. وعزاه للطبراني في الصغير، وقال: فيه يوسف الصفار، وهو ضعيف. وقال ابن الجوزي: متروك. ونقل السيوطي عن ابن الصلاح أنها لم تنزل جملة. الإتقان ١/٣٧ ولم أجده في فتاوى ابن الصلاح المطبوعة.

(٤١) أخرجه عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن مجاهد. الدر المنثور ٣/٣.

ووجه آخر. وهو أن كل ربع من القرآن افتتح بسورة أولها الحمد:

ـ [فأول القرآن سورة الحمد].

ـ وهذه للربع الثاني.
ـ والكهف للربع الثالث.
[وسبأ][42] وفاطر للربع الرابع.

وجميع هذه الوجوه التي استنبطتها من المناسبات بالنسبة إلى [أسرار] القرآن كنقطة من بحر.

* * *

ولما كانت هذه السورة لبيان بدء الخلق ذكر فيها ما وقع عند بدء الخلق، وهو قوله: ﴿ **كَتَبَ على نفسه الرحمة** ﴾[43].

ففي الصحيح[44]: «لما فرغ الله من الخلق، وقضى الأقضية، كتب كتاباً عنده فوق العرش: إنّ رحمتي سبقت غضبي».

* * *

---

(٤٢) زيادة من المطبوع.

(٤٣) سورة الأنعام الآية ١٢.

(٤٤) جميع هذه الروايات بألفاظ قريبة: البخاري ١٣/٣٢٥ في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾، وباب ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ ﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾، وباب قوله تعالى: ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** ﴾، وباب قوله تعالى: ﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾، وفي بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله: ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده** ﴾. ومسلم (٢٧٥١) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، والترمذي (٣٥٣٧) في الدعوات، باب (١٠٩). ـ جامع الأصول ٤/٥١٩.

سورة الأعراف

أقول: مناسبة وضع هذه السورة عقب سورة الأنعام فيما ألهمني الله سبحانه: أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق، وقال فيها: ﴿ **هو الذي خلقكم من طين**﴾[1]، وقال في بيان القرون: ﴿**كم أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾[2]، وأشير فيها إلى ذكر المرسلين وتعداد كثير منهم، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال لا التفصيل، ذُكِرَت هذه السورة عقبها لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها، فبسط فيها [قصة][3] خلق آدم أبلغ بسط بحيث لم تبسط في سورة ما بُسطت فيها وذلك تفصيل إجمال [قوله][4]: ﴿ **خلقكم من طين** ﴾ ثم فصلت قصص المرسلين وأممهم، وكيف هلاكهم[5] تفصيلاً تاماً شافياً مستوعباً لم يقع نظيره في سورة غيرها، وذلك بسط حال القرون المُهْلَكَة ورسلهم، فكانت هذه السورة شرحاً [أ/١٠٠] لتلك الآيات الثلاثة[6].

وأيضاً، فذلك تفصيل قوله: ﴿**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**﴾[7] ولهذا صدَّر السورة بخلق آدم الذي جعله الله في الأرض خليفة. وقال في قصة

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢.
(٢) سورة الأنعام الآية ٦.
(٣) (٤) زيادة من المطبوع.
(٥) في ط : كيفية هلاكهم.
(٦) في ط : الثلاث.
(٧) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

عاد: ﴿ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾[٨]، وفي قصة ثمود: ﴿ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾[٩].

وأيضاً فقد قال في الأنعام: ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾[١٠] وهو موجز وبسطه هنا بقوله: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون.. ﴾[١١] إلى آخره. فبين من كتب[١٢] لهم.

وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر سورة الأنعام، فهو: أنه قد تقدم [هناك][١٣]: ﴿ وإنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾[١٤]، [وقوله][١٥]: ﴿ هذا كتاب أنزلناه مباركٌ فاتبعوه ﴾[١٦]، وافتتح[١٧] هذه السورة أيضاً [بالأمر] باتباع الكتاب في قوله: ﴿ كتاب أُنْزِلَ إليك ﴾[١٨] إلى [قوله]: ﴿ اتبعوا ما أُنْزِل إليكم من ربكم ﴾[١٩].

وأيضاً فلما تقدم[٢٠]: ﴿ ثم يُنَبِّئُهُمْ بما كانوا يفعلون ﴾[٢١]، ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾[٢٢] قال في مُفْتَتَحِ هذه [السورة][٢٣]: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الذين أُرْسِلَ إليهم ولنسألن المرسلين، فلنقصن

---

(٨) سورة الأعراف الآية ٦٩.
(٩) سورة الأعراف الآية ٧٤.
(١٠) سورة الأنعام الآية ١٢ وفي ط : كتب ربكم.
(١١) سورة الأعراف الآية ١٥٦.
(١٢) في ط : كتبها.
(١٣) زيادة من المطبوع.
(١٤) سورة الأنعام الآية ١٥٣.
(١٥) زيادة من المطبوع.
(١٦) سورة الأنعام الآية ١٥٥.
(١٧) في ط : فافتتح.
(١٨) سورة الأعراف الآية ٢.
(١٩) سورة الأعراف الآية ٣.
(٢٠) في ط : لما تقدم في الأنعام.
(٢١) سورة الأنعام الآية ١٥٩.
(٢٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤.
(٢٣) زيادة من المطبوع.

عليهم بعلم ﴾[٢٤] وذلك شرح التنبئة المذكورة.

وأيضاً فلما قال[في الأنعام][٢٥]: **﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾**[٢٦] الآية. وذلك لا يظهر إلا في الميزان. افتتح هذه [السورة][٢٧] بذكر الوزن، فقال: **﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾**[٢٨] ثم ذكر **﴿فمن ثَقُلَتْ موازينه ﴾**[٢٩] وهو من زادت حسناته على سيئاته، ثم من **﴿ خفت موازينه ﴾**[٣٠] وهو من زادت سيئاته على حسناته.

ثم ذكر بعد ذلك **﴿ أصحاب الأعراف ﴾**[٣١] [وهم][٣٢] قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

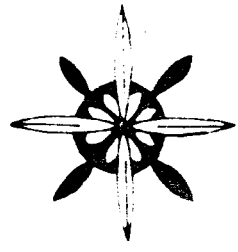

(٢٤) سورة الأعراف الآية ٦ ـ ٧.
(٢٥) زيادة من المطبوع.
(٢٦) سورة الأنعام الآية ١٦٠.
(٢٧) زيادة من المطبوع.
(٢٨) سورة الأعراف الآية ٨.
(٢٩) سورة الأعراف الآية ٨.
(٣٠) سورة الأعراف الآية ٩.
(٣١) سورة الأعراف الآية ٤٨.
(٣٢) زيادة من المطبوع.

سـورة الأنفـــال

إعلم أن وضع هذه السورة وبراءة هنا ليس بتوقيف من الرسول ﷺ للصحابة[1] ـ [رضي الله تعالىٰ عنهم] ـ كما هو المرجّح[2] في سائر السور، بل باجتهاد[3] من عثمان[4] رضي الله تعالىٰ عنه ـ وقد كان يظهر في بادىء الرأي أن المناسب إيلاء الأعراف بيونس وهود، لاشـتـراك كل منهما في اشتمالها على قصص الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام]، وأنها مكية النزول خصوصاً وأن الحديث ورد في فضل السبع الطِوَال، وعدُّوا السابعة يونس، وكان تُسمى بذلك كما أخرجه البيهقي في « الدلائل» ففي فصلها من الأعراف بسورتين [هما الأنفال وبراءة][5] فصلٌ للنظير من سائر نظائره، هذا مع قصر سورة الأنفال، بالنسبة إلى الأعراف وبراءة. وقد استشكل [ب/ ١٠٠] ذلك قديماً حَبْر الأمة ابن عباس[6] [رضي الله تعالىٰ عنهما].

وأخرج[7] أحمد، وأبـو داود، والترمـذي، والنسائي، وابن حبـان،

---

(١) في ط : والصحابة.

(٢) في ط : الراجح.

(٣) في ط : اجتهاد.

(٤) في خ : عمر. بدل: عثمان.

(٥) زيادة من المطبوع.

(٦) في ط : وقد استشكل ابن عباس حبر الأمة قديماً ذلك.

(٧) قال العلامة أحمد شاكر في شرح المسند في الحديث رقم (٣٩٩) و(٤٩٩): في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له. ثم نقل كلاماً جميلاً جيداً في نفي هذا الحديث فلينظَر هناك.

والحاكم، عن ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما] قال: قلت لعثمان [رضي الله تعالىٰ عنه] ما دلكم[٨] على أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ووضعتموها في السبع الطوال؟! فقال عثمان [رضي الله تعالىٰ عنه]: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد، وكان[٩] إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل [بالمدينة]، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما. ولم أكتب[١٠] بينهما سطر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ووضعتها[١١] في السبع الطوال.

فانظر إلى ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ كيف استشكل على عثمان رضي الله تعالىٰ عنه ـ أمرين: وضع الأنفال [وهي قصيرة مع السور الطويلة][١٢]، [ووضعها هي] وبراءة في أثناء السبع الطوال مفصولاً بهما بين السادسة[١٣] والسابعة!! وانظر كيفَ أجاب عثمان ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ أولاً: بأنه لم يكن عنده في ذلك توقيف. وأنه[١٤] استند إلى الإجتهاد. وأنه قرن بين الأنفال وبراءة لكونها شبيهة بقصتها في اشتمال كل [منهما][١٥] على [الأمر بـ] ـالقتال، ونبذ العهود.

وهذا وجه بيّن المناسبة، جليّ، فرضي الله [تعالىٰ] عن الصحابة، ما أدق أفهامهم، وأجزل آراءهم، وأعظم أخلاقهم[١٥]!!.

---

(٨) في ط : ما حملكم.
(٩) في ط : فكان.
(١٠) في خ : يكتب.
(١١) في خ : ووضعها.
(١٢) ذكر في ط هذه العبارة بعد السابعة.
(١٣) في خ : الست.
(١٤) في ط : فإنه.
(١٥) زيادة من المطبوع.
(١٥) ـ في ط: أحلامهم.

وأقول: يتم بيان مقصد عثمان ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ في ذلك بأمور فتح الله بها[١٦]:

الأول: أنه جعل الأنفال قبل براءة مع قصرها، لكونها مشتملة على البسملة، فقدمها لتكون كقطعة[١٧] منها، [ومفتتحها]، وتكون براءة لخلوها[١٨] منها كتتمتها [وبقيتها][١٩]، ولهذا قال جماعة من السلف: «إن الأنفال وبراءة سورة واحدة لا سورتان»[٢٠].

الثاني: أنه وضع [أ/١٠١] براءة هنا لمناسبة الطوال، وأنه[٢١] ليس في القرآن بعد الست السابقة سورة أطول منها[٢٢]، وذلك كافٍ في المناسبة.

الثالث: أنه خلَّل بالسورتين أثناء السبع الطوال المعلوم ترتيبها في العصر الأول، للإشارة إلى أن ذلك أمر صادر لا عن توقيف، وإلى أن الرسول[٢٣] ﷺ قُبِضَ قبل أن يبين محلهما، فوضعا [هنا]، كالموضع المستعار [بين السبع الطوال][٢٤] بخلاف ما لو وضعتا بعد السبع الطوال، فإنه كان يوهم أن ذلك محلهما بتوقيف، وترتيب السبع الطوال يرشد إلى دفع هذا الوهم، فانظر إلى هذه الدقيقة التي فتح الله [تعالىٰ] بها، ولا يَغُوصُ عليها الغوَّاص[٢٥].

الرابع: أنه لو أخرهما وقدم يونس، وأتى بعد براءة بهود كما في

---

(١٦) في خ : لها.
(١٧) في ط : لفظة.
(١٨) في ط : بخلوها.
(١٩) زيادة من المطبوع.
(٢٠) أخرجه أبو الشيخ عن أبي روق، وابن أبي حاتم عن سفيان، وابن أشتة عن ابن لهيعة ـ الإتقان ١/٦٥.
(٢١) في ط : فإنه.
(٢٢) في ط : بعد الأعراف أنسب ليونس طولاً منها.
(٢٣) في ط : رسول الله.
(٢٤) زيادة من المطبوع.
(٢٥) على هامش المخطوط: إلا غواص. وفي المطبوع كذلك.

مصحف أبيّ [بن كعب][٢٦]، لمراعاة [مناسبة][٢٧] السبع الطوال، وإيلاء بعضها بعضاً، لفات مع ما أشرنا إليه أمر آخر آكدُ في المناسبة، فإن الأولى بسورة يونس أن تولى بالسور الخمس[٢٨] التي بعدها لما اشتركت فيه من الاشتمال على القصص، ومن الإفتتاح بـ (الر)[٢٩]، وبذكر الكتاب، ومن كونها مكيات، ومن تناسب ـ ما عدا الحجر ـ في المقدار، ومن[٣٠] التسمية باسم نبي، والرعد اسم[٣١] ملك، وهو مناسب لأسماء الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام].

فهذه ستة أوجه[٣٢] في مناسبة الاتصال بين يونس وما بعدها، وهي آكد من ذلك الوجه الواحد[٣٣] في تقديم يونس بعد الأعراف، ولبعض هذه الأمور قدمت سورة الحجر على النحل مع كونها أقصر منها ولو أخرت براءة عن هذه السور الستة[٣٤] [لبعدت] المناسبة جداً لطولها بعد عدة[٣٥] سور أقصر منها، بخلاف وضع سورة النحل بعد الحجر فإنها ليست كبراءة في الطول.

ويشهد لمراعاة الفواتح في مناسبة الوضع ما ذكرناه من تقدم[٣٦] الحجر على النحل لمناسبة ذوات (الراء) قبلها، وما تقدم من تقدم[٣٧] آل عمران على النساء وإن كانت أقصر منها لمناسبتها[٣٨] البقرة في[٣٩] الإفتتاح بـ (الم) وتوالي الطواسين، والحواميم، وتوالي الطواسين، والحواميم، وتوالي

---

(٢٦) (٢٧) زيادة من المطبوع.

(٢٨) في خ: الخمسة.

(٢٩) في ط : بالذكر.

(٣٠) في ط : ب بدل من.

(٣١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رقم (٣١١٦) أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الرعد. فقال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب» . . وأحمد في المسند رقم (٢٤٨٣) بسند صحيح.

(٣٢) في ط : وجوه.

(٣٣) في ط : السابق.

(٣٤) في ط : الست.

(٣٥) في ط : بطولها بعد عشر.

(٣٦) في ط : ذكرنا من تقديم.

(٣٧) في ط : تقديم.

(٣٨) في ط : لمناسبة.

(٣٩) في ط : مع، بدل في.

العنكبوت، والروم، ولقمان[٤٠]، والسجدة لافتتاح كل بـ (الم)، ولهذا قدمت السجدة على الأحزاب التي هي أطول [ب/١٠١] منها. هذا ما فتح الله [تعالىٰ] به.

وأما ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه] فقدم في مصحفه: البقرة، والنساء[٤١]، وآل عمران، والأعراف، والأنعام، والمائدة، ويونس. فراعى [السبع] الطوال، وقدم الأطول [منها] فالأطول.

ثم ثنى بالمئين فقدم براءة، ثم النحل، ثم هود، ثم يوسف، ثم الكهف، وهكذا الأطول فالأطول.

وذكر الأنفال بعد النور، ووجه مناسبتها لها: أن كلاً [منهما][٤٢] مدنية، ومشتملة على أحكام، وأن في النور: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم..** ﴾[٤٣] الآية. وفي الأنفال: ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون** ﴾[٤٤] الآية. ولا يخفى ما بين الآيتين من المناسبة، فإن الأولى مشتملة على الوعد بما حصل، وذكّر به في الثانية، فتأمل!!.

* * *

(٤٠) في ط : القمر.
(٤١) في ط : على النساء.
(٤٢) زيادة من المطبوع.
(٤٣) سورة النورالآية ٥٥ وفي ط: الذين آمنوا وعملوا.
(٤٤) سورة الأنفال الآية ٢٦ وفي ط: إذ أنتم مستضعفون.

سـورة بـــراءة

أقول: قد عرف وجه مناسبتها، ونزيد هنا: أن صدرها تفصيل لإجمال قوله في الأنفال: ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبِذْ إليهم على سواء** ﴾[1].

وآيات الأمر بالقتال متصلة بقـوله [هنـاك][2]: ﴿ **وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة..** ﴾[3] الآية. ولذا قال [هنا][4] في قصة المنافقين: ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة** ﴾[5].

ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر، وهو أنه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم، وجعل خُمسها لخمسة أصناف[6].

وفي براءة تولى قسمة الصدقات وجعلها لثمانية أصناف.

* * *

(١) سـورة الأنفال الآية ٥٨.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠.
(٤) زيادة من المطبوع.
(٥) سورة التوبة الآية ٤٦.
(٦) في ط : خمسة أخماس.

سورة يونس
[عليه السلام]

أقول: قد عرف وجه مناسبتها فيما تقدم في سورة الأنفال، ونزيد هنا: أن مطلعها شبيه بمطلع سورة الأعراف، فإنه[1] سبحانه قال فيها: ﴿ **أن أنذر الناس، وبشر الذين آمنوا** ﴾[2] فقدم الإنذار وعممه، وأخر البشارة وخصصها، وقال تعالى في مطلع الأعراف: ﴿ **لتنذر به، وذكرى للمؤمنين** ﴾[3]، فخص الذكرى وأخرها، وقدم الإنذار وحذف مفعوله ليعُمَّ.

وقال هنا: ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾[4]. وقال في أوائل الأعراف[5] مثل ذلك.

وقال هنا: ﴿ **يدبر الأمر** ﴾[6]. وقال هناك: ﴿ **مسخراتٍ بأمره. ألا له الخلق والأمر** ﴾[7].

وأيضاً فقد ذكرت قصة فرعون وقومه في [أ/١٠٢] الأعراف، واختصر ذكر إغراقهم، وبسط[8] في هذه السورة أبلغ بسط، فهي شارحة لما أجمل في سورة الأعراف [منه][9].

(١) في ط : وإنه.
(٢) سورة يونس الآية ٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ٢.
(٤) سورة يونس الآية ٣.
(٥) في ط : في الأوائل أي أوائل الأعراف.
(٦) سورة يونس الآية ٣.
(٧) سورة الأعراف الآية ٥٤.
(٨) في ط : (ذكر عذابهم وبسطه).
(٩) زيادة من المطبوع.

سورة هود
[عليه السلام]

أقول: وجه وضعها بعد سورة يونس زيادة على الأوجه الستة السابقة: أن سورة يونس ذكر فيها قصة [نوح][1] مختصرة جداً، مجملة، فشرحت في هذه السورة وبسطت ما لم تبسطه في غيرها من السور، ولا [في][2] سورة الأعراف على طولها، ولا [في][3] سورة: ﴿ **إنا أرسلنا نوحاً** ﴾[4] التي أفردت لقصته فكانت هذه السورة شرحاً[5] لما أجمل في سورة يونس [توفية بالقاعدة.

ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمقطع سورة يونس]، فإن قوله [هناك][6]: ﴿ **واتبع ما يوحى إليك** ﴾[7] هو عين قوله [هنا][8]: ﴿ **كتاب أحكمت آياته** ﴾[9].

* * *

(١) في خ : قصته.
(٢) (٣) زيادة من المطبوع.
(٤) سورة نوح الآية ١.
(٥) في ط : شارحة.
(٦) زيادة من المطبوع.
(٧) سورة يونس الآية ١٠٩.
(٨) زيادة من المطبوع.
(٩) سورة هود الآية ١.

سورة يوسف
[عليه السلام]

أقول: [وجه][1] وضعها بعد سورة هود [عليه السلام]، زيادة على الأوجه الستة السابقة، أن قوله في مطلعها: ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾[2] مناسب لقوله في مطلع تلك: ﴿ **وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾[3].

وأيضاً: فلما وقع في سورة هود [عليه السلام]: ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾[4].

وقوله: ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾[5] ذكر هنا حال يعقوب مع أولاده، وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته، فكان كالشرح لإجمال ذلك، ولذا قال [هنا][6]: ﴿ **ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيمَ وإسحاق** ﴾[7] فكان ذلك كالمقترن بقوله [في هود][8]: ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾.

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة يوسف الآية ٣.
(٣) سورة هود الآية ١٢٠.
(٤) سورة هود الآية ٧١، وفي خ : وبشرناها، وهو خطأ.
(٥) سورة هود الآية ٧٣.
(٦) زيادة من المطبوع.
(٧) سورة يوسف الآية ٦.
(٨) زيادة من المطبوع.

وقد روينا عن ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما] وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن يونس نزلت، ثم هود، ثم يوسف[٩]. وهذا وجه آخر من وجوهَ المناسبة في ترتيب هذه الثلاثة[١٠] لترتيبها في النزول هكذا.

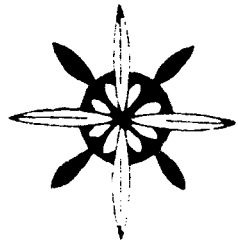

(٩) الإتقان ١/١٠- ١١.

(١٠) في ط : السور الثلاث.

سورة الرعد

أقول: وجه وضعها بعد سورة يوسف زيادة على ما تقدم، بعدما أفكرت[1] فيه طائفة من الزمان: أن الله سبحانه قال في آخر تلك: ﴿ **وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾[2] فذكر الآيات السمائية والأرضية [ب/١٠٢] إجمالاً، ثم فسرها[3] في مطلع هذه السورة بقوله[4]: ﴿ **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش، وسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر، يفصِّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾[5] [تفصيل للآيات السمائية، وقوله:] ﴿ **وهو الذي مد الأرض، وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين، يُغْشِي الليل النهار، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وفي الأرض قِطَعٌ متجاورات، وجنات من أعناب، وزرْعٌ ونخيلٌ، صنوان، وغير صنوان، يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأُكل، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾[6] تفصيل للآيات[7] الأرضية.

هذا مع اختتام سورة يوسف [عليه السلام] بوصف الكتاب، ووصفه بالحق، وافتتاح هذه بمثل ذلك، وهو من تشابه الأطراف.

---

(١) في ط : فكرت.
(٢) سورة يوسف الآية ١٠٥، وفي خ : وكم من.
(٣) في ط : مجملة، ثم فصل.
(٤) في ط : فقوله.
(٥) سورة الرعد الآية ٢. وفي المطبوع: إلى أجل.
(٦) سورة الرعد الآية ٣- ٤.
(٧) في ط : الآيات.

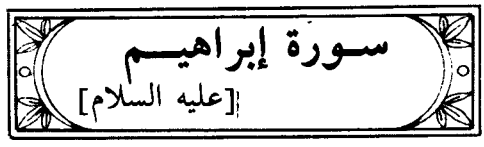

سورة إبراهيم [عليه السلام]

أقول: وجه وضعها بعد سورة الرعد زيادة على ما تقدم، بعد إفكاري فيه برهة: أن قوله في مطلعها: ﴿ **كتاب أنزلناه إليك** ﴾[1] له مناسبة بقوله[2] في مقطع تلك: ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾[3] على أن المراد (بمن): الله جل جلاله[4].

وأيضاً: ففي الرعد: ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم** ﴾[5] وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ. وقد فصلت الأربعة في قوله: ﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح..** ﴾[6] الآيات.

* * *

(١) سورة إبراهيم الآية ١.

(٢) في ط: لقوله.

(٣) سورة الرعد الآية ٤٣.

(٤) في ط: هو الله تعالى.

(٥) سورة الرعد الآية ٣٢.

(٦) سورة إبراهيم الآية ٩، وفي خ: يأتهم... قبلهم.

سورة الحجر

أقول: تقدمت الأوجه في اقترانها بالسورة[1] السابقة، وإنما أخرت عنها لقصرها بالنسبة إليها. وهذا القسم من سور القرآن للمئين فناسب تقدم الطولى[2] مع مناسبة ما ختمت به لبراعة الختام، وهو قوله، ﴿ **واعبد ربك حتى يأتِيَكَ اليقين** ﴾[3] فإنه مفسر بالموت، وذلك مقطع في غاية البراعة.

وقد وقع ذلك في كل سور مقترنة[4]، ففي آخر آل عمران: ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[5]. وفي آخر الطواسين ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون** ﴾[6]. وفي آخر ذوات (الر): ﴿ **وانتظر إنهم منتظرون** ﴾[7]. وفي آخر الحواميم: ﴿ **كأنهم يوم يرون** [أ/١٠٣] **ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ﴾[8].

ثم ظهر [لي][9] وجه اتصال [أول][10] هذه السورة بآخر سورة إبراهيم [عليه السلام] فإنه تعالىٰ لما قالَ هناك في وصف يوم القيامة:

---

(١) في خ: السور.
(٢) في ط: تقديم الأطول.
(٣) سورة الحجر الآية ٩٩.
(٤) في ط: في أواخر السور المقترنة.
(٥) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.
(٦) سورة القصص الآية ٨٨، وفي ط: ألا له.
(٧) سورة السجدة الآية ٣٠، وفي خ: ذوات (الم).
(٨) سورة الاحقاف الآية ٣٥.
(٩) (١٠) زيادة من المطبوع.

﴿ وبرزوا لله الواحد القهار، وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران، وتغشى وجوههم النار ﴾[11] قال هنا: ﴿ رُبَما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾[12] فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار [و][13] رأوا عُصاة [المؤمنين][14] والموحدين قد أخرجوا منها، تمنوا أن لو كانوا في الدنيا مسلمين. وذلك وجه حسن في الربط، مع اختتام آخر تلك بوصف الكتاب، وافتتاح هذه به، وذلك من تشابه الأطراف.

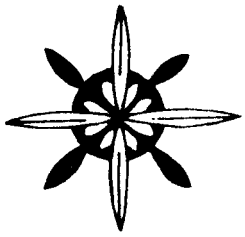

(١١) سورة إبراهيم الآية ٤٨- ٥٠.
(١٢) سورة الحجر الآية ٢.
(١٣) (١٤) زيادة من المطبوع.

سورة النحل

أقول: وجه وضعها بعد سورة الحجر، أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه، فإن قوله [في آخر تلك][1]: ﴿ واعبد ربك حتى يأتِيَكَ اليقين ﴾[2] الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله [هنا][3]: ﴿ أتى أمر الله ﴾[4]. وانظر كيف جاء في المقدمة:

﴿ يأتيك ﴾[5] [بلفظ المضارع]، وفي المتأخرة بلفظ الماضي لأن المستقبل سابق على الماضي كما تقرر في المعقول والعربية.

ثم[6] ظهر لي أن هذه السورة شديدة الاعتلاق بسورة إبراهيم [عليه السلام]، وإنما أخرت[7] عنها لمناسبة الحجر في كونها من ذوات الراء، وذلك أن سورة إبراهيم وقع فيها ذكر فتنة الميت، ومن هو مثبت[8] وغيره، و[ذكر] ذلك أيضاً في هذه بقوله: ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة.. ﴾[9] الآيات. فذكر [هناك] الفتنة وما يحصل عندها من الثبات أو الإضلال، وذكر

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة الحجر الآية ٩٩.
(٣) زيادة من المطبوع.
(٤) سورة النحل الآية ١.
(٥) في ط : يأتيك اليقين.
(٦) في ط : و.
(٧) في ط : تأخرت.
(٨) في ط : ميت.
(٩) سورة النحل الآية ٣٢.

هنا ما يحصل عقب ذلك من النعيم أو العذاب.

ووقع في سورة إبراهيم : ﴿ **وقد مكروا مكرهم..** ﴾[10] الآية. و[قد] قيل: إنها في الجبار الذي أراد أن يصعد [إلى][11] السماء بالنسور. وذكر هنا في قوله[12]: ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم** ﴾[13] [الآية].

ووقع في سورة إبراهيم ذكر النعيم. وقال عقبها: ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[14] ووقع هنا ذكر ذلك معقباً بمثل ذلك.

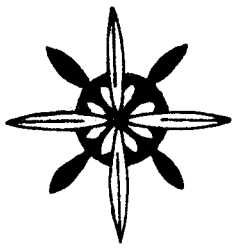

---

(١٠) سورة إبراهيم الآية ٤٦، وفي خ : ومكروا.

(١١) زيادة من عندي.

(١٢) في ط : ووقع هنا أيضاً في قوله.

(١٣) سورة النحل الآية ٢٦ وقال في مفحمات الأقران ٦٣: قال ابن عباس: «هو نمروذ بن كنعان، حين بنى الصرح». أخرجه ابن أبي حاتم. وانظر تفسير الطبري ٣/ ١٦٠.

(١٤) سورة إبراهيم الآية ٣٤، وفي سورة النحل الآية ١٨.

سورة بني إسرائيـل

إعلم أن هذه السورة، والأربعة[1] بعدها من قديم ما نزل[2]..!!!

أخرج البخاري [رضي الله تعالىٰ عنه] عن ابن مسعود [رضي الله تعالىٰ عنه]: أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «[هن] من العتاق الأول، وهن من تلادي»[3].

وهذا وجه في ترتيبها، وهو: إشتراكها [ب/١٠٣] في قدم النزول، وكونها مكيات، وكلها[4] مشتملة على القصص.

و[قد][5] ظهر لي في وجه إتصالها بسورة النحل: أنه سبحانه لما قال في آخرها[6]: ﴿ **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** ﴾[7] فسَّر في هذه [السورة] شريعة أهل السبت وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شرعه[8] لهم في التوراة، كما أخرج ابن جرير[9] عن ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما]

---

(١) في ط : الأربع.
(٢) في ط : أنزل.
(٣) البخاري في التفسير، سورة الأنبياء رقم (٤٧٣٩) - انظر فتح الباري [٨: ٤٣٥].
(٤) في ط : كونها.
(٥) زيادة من المطبوع.
(٦) في ط : في آخر النحل.
(٧) سورة النحل الآية ١٢٤.
(٨) في ط : شرع.
(٩) تفسير ابن جرير ١٧ : ٢٤٣.

[أنه][10] قال: «[إن] التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل. .» وذكر عصيانهم وإفسادهم[11] وتخريب مسجدهم، ثم ذكر استفزازهم النبي[12] ﷺ وإرادتهم إخراجه من المدينة.

ثم ذكر سؤالهم إياه عن الروح، ثم ختم السورة بآيات موسى التسع، وخطابه مع فرعون، وأخبر أن [فرعون أراد أن يستفزهم من الأرض، فأهلك وورث بنو إسرائيل من بعده، وفي ذلك تعريض بهم، أنهم كما] استفزوا النبي ﷺ من المدينة[13] [فسيخرجون منها، ويرثها] هو وأصحابه. كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزهم، وقد وقع ذلك أيضاً. .

ولما كانت هذه السورة مصدرة بقصة تخريب المسجد الأقصى، [افتتحت بذكر] إسراء[14] المصطفى ﷺ إليه تشريفاً له بحلول ركابه الشريف [فيه، لما وقع من تخريبه]، فللّه الحمد على ما ألهم.

* * *

(١٠) زيادة من المطبوع.
(١١) في ط : فسادهم.
(١٢) في ط : للنبي.
(١٣) في ط : استفزازهم للنبي ﷺ ليخرجوه من المدينة.
(١٤) في خ : (إسرائيل). وهو خطأ من الناسخ وفي ط : أسري بالمصطفى.

سـورة الكهــف

قال بعضهم[1]:

مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء افتتاح تلك بالتسبيح، وهذه بالتحميد وهما مقترنان في القرآن، وسائر الكلام [بحيث يسبق التسبيح التحميد][2] نحو: ﴿ **فسبح بحمد ربك** ﴾ و﴿ **سبحان الله وبحمده** ﴾.

قلت: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضاً، وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف.

ثم ظهر لي وجه آخر حسن[3] في الاتصال، وذلك: أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الـروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين. وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني إسرائيل، فناسب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين.

فإن قلت: هلاَّ جمعت الثلاثة في سورة واحدة؟!

قلت: لما لم يقع الجواب عن الأول بالبيان ناسب [أ/١٠٤] فصله في سورة.

---

(١) راجع نظم الدرر للبقاعي ٢/١٢ بعبارة قريبة.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) في ط : أحسن.

ثم ظهر لي وجه آخر، وهو: أنه لما قال فيها ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾[٤] والخطاب لليهود [و][٥] استظهر على ذلك بقصة موسى [عليه السلام] نبيّ[٦] بني إسرائيل مع الخضر، التي كان سببها ذكر العلم والأعلم، وما دلت عليه من كثرة[٧] معلومات الله تعالىٰ التي لا تحصى. فكانت هذه السورة كإقامة الدليل لما ذكر من الحكم [في تلك السورة]، وقد ورد في الحديث[٨]: أنه لما نزل ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾. قال اليهود: قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء. فنزل: ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد. . .** ﴾[٩] الآية.

فهذا وجه آخر في المناسبة وتكون السورة من هذه الجهة جواباً عن شبهة الخصوم فيما قرر في تلك[١٠].

وأيضاً: فلما قال هناك: ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً** ﴾[١١] شرح ذلك هنا وبسطه بقوله: ﴿ **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء** ﴾ إلى [قوله]: ﴿ **ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً، وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين. .** ﴾[١٢].

فهذه وجوه عديدة في الاتصال.

* * *

---

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٥) زيادة من المطبوع.

(٦) في ط : في.

(٧) في ط : إحاطة.

(٨) أخرجه أحمد ١/٢٥٥ رقم (٢٣٠٩) بسند صحيح. والترمذي وصححه، والنسائي، وابن المنذر، وابن حبان، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، كلاهما في الدلائل، عن ابن عباس. الدر المنثور ٤/١٩٩.

(٩) سورة الكهف الآية ١٠٩.

(١٠) في ط : قدر بتلك.

(١١) سورة الإسراء: ١٠٤.

(١٢) سورة الكهف الآية ٩٩ ـ ١٠٠.

سورة مريم

أقول: ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخَضِر [عليهما السلام]، وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين.

وهذه السورة فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيى [بن زكريا][1]، وقصة ولادة عيسى [عليهما الصلاة والسلام] فناسب تتاليهما.

وأيضاً فقد قيل: إن أصحاب الكهف يبعثون قبل [قيام][2] الساعة[3]، ويحجون مع عيسى ابن مريم [عليه الصلاة والسلام] حين ينزل، ففي ذكر سورة مريم بعد ذكر سورة أصحاب الكهف مع ذلك إن ثبت ما لا يخفى من المناسبة.

وقد قيل أيضاً: إنهم من قوم عيسى [عليه السلام]، وإن قصتهم كانت في الفترة[4]، فناسب توالي سورة قصتهم، وسورة قصة نبيهم.

---

(١) (٢) زيادة من المطبوع.

(٣) أخرج ابن مردويه بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أصحاب الكهف أعوان المهدي». الدر المنثور ٤/٢١٥.

(٤) انظر قصة ذلك في الدر المنثور ٤/٢١٥ في خبر عن وهب بن منبه، أخرجه عبد الرزاق، وابن المنذر، ولكن هذا الخبر من الإسرائيليات.. إذ ذكر ابن كثير في تفسيره ٥/١٣٧ أنهم كانوا قبل ملك النصرانية.

سورة طٰه

أقول: روينا عن ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما]، وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن طٰه نزلت بعد سورة مريم[1]. [ب/١٠٤]، [بعد ذكر سورة أصحاب الكهف][2]، وذلك وحده كاف في مناسبة الوضع مع التآخي بالافتتاح بالحروف المقطعة.

وظهر لي وجه آخر، وهو: أنه لما ذكر في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء، وهم: زكريا، ويحيى، وعيسى، [و] الثلاثة مبسوطة، وإبراهيم وهي بين البسط والإيجاز، وموسى وهي موجزة مجملة، [و] أشار إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً، [و][3] ذكر في هذه السورة شرح قصة موسى التي أجملها هناك فاستوعبها غاية الاستيعاب، وبسطها أبلغ بسط.

ثم أشار إلى تفصيل قصة آدم، الذي وقع [في مريم] مجرد ذكر اسمه [هناك][4].

ثم أورد في سورة الأنبياء بقية قصص من لم يذكر [قصته] في مريم، كنوح، ولوط، وداود، وسليمان، وأيوب، [واليسع]، وذي الكفل، وذي النون.

وأشير [فيها] إلى قصة من ذكرت قصته إشارة وجيزة كموسى، وهارون، وإسماعيل، وزكريا، ومريم، لتكون السورتان كالمتقابلتين.

---

(١) انظر الاتقان ١/١٠-١١.

(٢) (٣) (٤) زيادة من المطبوع.

وبسطت فيهما قصة إبراهيم البسط التام فيما يتعلق به مع قومه، ولم يذكر حاله مع [أبيه إلا][٥] إشارة [كما أنه في سورة مريم ذكر حاله مع قومه إشارة][٦]، ومع أبيه مبسوطاً، فانظر إلى عجيب هذا الأسلوب، وبديع هذا الترتيب!!

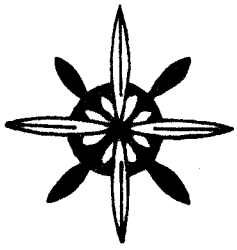

(٥) في خ : قومه.
(٦) زيادة من المطبوع.

سورة الأنبياء
[عليهم الصلاة والسلام]

قدم[1] ما فيها مستوفى، وظهر لي في اتصالها بآخر طه أنه سبحانه لما قال: ﴿ **قل كل متربص فتربصوا** ﴾[2] وقال قبله: ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى** ﴾[3] قال في مطلع هذه: ﴿ **اقترب للناس حسابهم** ﴾[4] إشارة إلى قرب الأجل [المسمى]، ودنو الأمد[5] المنتظر.

وفيه أيضاً مناسبة لقوله [سبحانه] [هناك][6]: ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به . .** ﴾[7] الآية. فإن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا، لدنوها[8] من الزوال والفناء.

ولهذا ورد في حديث[9]: أنها لما نزلت قيل لبعض الصحابة [رضي الله تعالىٰ عنهم]: هلاَّ سألت النبي ﷺ [عنها][10]؟ فقال: «نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا»[11].

(١) في ط : قدمت.
(٢) سورة طه الآية ١٣٥.
(٣) سورة طه الآية ١٢٩، وفي ط : أجلاً.
(٤) سورة الأنبياء الآية ١.
(٥) في ط : الأمل.
(٦) زيادة من المطبوع.
(٧) سورة طه الآية ١٣١.
(٨) في خ : ودنوها.
(٩) في ط : الحديث.
(١٠) زيادة من المطبوع.
(١١) أخرجه ابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر، عن عامر بن ربيعة، بسند ضعيف.

أقول: وجه اتصالها بسورة الأنبياء: أنه ختمها بوصف الساعة في قوله: ﴿ **واقترب الوعد الحق، فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا** ﴾[1] وافتتح هذه بذلك، فقال: ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل..** ﴾[2] إلى آخره.

* * *

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٧.

(٢) سورة الحج الآية ١ـ ٢.

سورة قد أفلح [المؤمنون]

أقول: وجه اتصالها بسورة الحج: أنه لما ختمها بقوله: ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم [أ/١٠٥] تفلحون**﴾[١] وكان ذلك مجملاً، فصَّله في فاتحة هذه السورة، فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح، فقال: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون..** ﴾[٢] الآيات.

ولما ذكر في أول الحج قوله: ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة**﴾[٣] الآية. زاد[٤] هنا بياناً [وإطناباً] في قوله: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين..** ﴾[٥] الآيات.

فكل جملة أوجِزَت هناك في القصة، أطنِبت هنا[٦].

* * *

(١) سورة الحج الآية ٧٧.
(٢) سورة المؤمنون الآية ١- ٢.
(٣) سورة الحج الآية ٥.
(٤) في ط: زاده.
(٥) سورة المؤمنون الآية ١٢- ١٣.
(٦) في ط: في القصد أطنب فيها هنا.

سورة النور

أقول: وجه اتصالها بسورة قد أفلح: أنه [تعالى] لما قال [فيها]: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾[1] ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصة الإفك، والأمر بغض البصر [الذي هو داعية الزنا، والاستئذان الذي إنما جعل من أجل النظر،] وأمر فيها بالإنكاح حفظاً للفرج[2]، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا.

ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط، ولا تناسق أبدع من هذا النسق!!

* * *

(١) سورة المؤمنون الآية ٥.

(٢) في ط: بالنكاح حفظاً للفروج.

سـورة الفرقــان

[أقول]: ظهر لي بفضل الله بعدما أفكرت[1] [مدة]: أن نسبة هذه السورة إلى سورة النور، كسورة[2] الأنعام إلى المائدة، من حيث أن النور قد ختمت بقوله: ﴿ لله ما في السماوات والأرض ﴾[3]. كما ختمت المائدة بقوله: ﴿ لله ملك السماوات والأرض وما فيهن ﴾[4].

وكانت جملة النور أخصر [لأنها أخصر] من المائدة، ثم فصلت هذه الجملة في سورة الفرقان، فافتتحت بقوله: ﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ إلى قوله: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾[5] كما افتتحت الأنعام بنظير[6] ذلك، وكان قوله عقبه: ﴿ واتخذوا من دونه آلهة.. ﴾[7] إلى آخره، نظير قوله هناك: ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾[8].

ثم ذكر في خلال [هذه][9] السورة جملة من المخلوقات، كمدّ الظل، والليل، والنوم، والنهار، والرياح، والماء، والأنعام، والأناسي، ومرج البحرين، والإنسان، والنسب، والصِّهر، وخلق السماوات والأرض في ستة

(١) في ط : فكرت في هذه.
(٢) في ط : كنسبة سورة.
(٣) سورة النـور الآية ٦٤، وقال في المخطوط: «لله ما في السماوات وما في الأرض».
(٤) سورة المائدة الآية ١٢٠.
(٥) سورة الفرقان الآية ٢، وفي خ: الذي خلق السماوات.
(٦) في ط : بمثل.
(٧) سورة الفرقان الآية ٣.
(٨) سورة الأنعام الآية ١.
(٩) زيادة من المطبوع.

أيام، والاستواء [ب/١٠٥] على العرش، وبروج السماء، والسراج، والقمر، إلى غير ذلك مما هو تفصيل جملة[١٠]: ﴿**لله ما في السماوات والأرض**﴾[١١] كما فصل آخر المائدة في الأنعام بمثل ذلك، وكان البسط في الأنعام أكثر لطولها.

ثم أشار في هذه السورة إلى القرون المكذبة وإهلاكهم، كما أشار في الأنعام إلى ذلك، ثم أوضح[١٢] هذه الإشارة في السورة التي تليها، وهي الشعراء بالبسط التام، والتفصيل البالغ، كما أوضح تلك[١٣] الإشارة التي في الأنعام، وفصلها في سورة الأعراف التي تليها فكانت هاتان السورتان[١٤] في المثاني نظير تَيْنِكَ السورتين، في الطوال، واتصالها بآخر النور نظير اتصال تينك[١٥] بآخر المائدة.

[ووجه آخر وهو: أن اتصال هذه السورة المشتمل على الثناء على الله بآخر النور المشتمل على فصل القضاء بقوله: ﴿**ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا**﴾[١٦] نظير اتصال أول الأنعام المشتمل على الحمد بآخر المائدة] المشتمل على فصل القضاء.

ثم ظهرت لي لطيفة أخرى، وهي[١٧]: أنه إذا وقعت سورة مكية بعد سورة مدنية افتتح أولها بالثناء على الله كالأنعام بعد المائدة، والإسراء بعد النحل[١٨]، وهذه بعد النور، وسبأ بعد الأحزاب، والحديد بعد الواقعة، وتبارك بعد التحريم، لما في ذلك من الإشارة إلى نوع استقلال، وإلى الانتقال من نوع إلى نوع.

---

(١٠) في ط : لجملة.
(١١) سورة النور الآية ٦٤ وفي خ : وما في الأرض.
(١٢) في ط : أفصح عن.
(١٣) في خ : بذلك.
(١٤) في خ: هاتين السورتين.
(١٥) في خ: بتلك.
(١٦) سورة النور الآية ٦٤.
(١٧) في ط : هي.
(١٨) الملاحظ أن سورة الإسراء والنحل مكيتان مع وجود بعض الآيات منهما مدنية وهذا يخالف قاعدة المؤلف.

سورة الشعراء

أقول: وجه اتصالها بسورة الفرقان أنه تعالى لما أشار فيها إلى قصص مجملة بقوله: ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب، وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً، فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا، فدمرناهم تدميراً، وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم، وجعلناهم للناس آية، وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً، وعاداً، وثمود، وأصحاب الرس، وقروناً بين ذلك كثيراً** ﴾[1].

شرح هذه القصص، وفصلها أبلغ تفصيل في السورة[2] التي تليها، ولذلك رتبت على ترتيب ذكرها في الآيات المذكورة، فبدأ بقصة موسى، ولو رتبت على الواقع لأخرت كما في الأعراف. فانظر إلى هذا السر اللطيف الذي منّ الله [تعالى] بإلهامه!!.

ولما كان في الآيات [أ/١٠٦] المذكورة، إشارة إلى قرون بين ذلك كثيرة[3]، زاد في الشعراء تفصيلاً لذلك قصة قوم إبراهيم، وقوم شعيب، وقوم لوط[4] ولما ختم الفرقان بقوله: ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾[5] وقوله: ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾[6] ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك، واستثنى منهم من سلك سبيل أولئك، وبيّن ما يمدح من الشعر، وما يدخل في القول[7] (سلاماً) وما يذم منه ويدخل فى (اللغو).

(١) سورة الفرقان الآية ٣٥ـ ٣٨.
(٢) في ط : الشعراء بدل: السورة.
(٣) في ط : المذكورة، قوله: ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾.
(٤) في ط : وقوم لوط، وقوم شعيب.
(٥) سورة الفرقان الآية ٦٣.
(٦) سورة الفرقان الآية ٧٢.
(٧) في ط : قوله.

سورة النمل

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أنها كالتتمة لها في ذكر بقية القرون فزاد سبحانه فيها ذكر داود، وسليمان، وبسط فيها قصة لوط أبسط مما هو[1] في الشعراء.

وقد روينا عن ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما]، وجابر بن زيد في ترتيب [نزول] السور: أن الشعراء نزلت[2]، ثم طس[3]، ثم القصص[4]، وذلك كاف في[5] ترتيبها في المصحف هكذا.

وأيضاً فقد وقع فيها: ﴿ **إذ قال موسى لأهله: إني آنست ناراً..** ﴾[6] إلى آخره، وذلك تفصيل قوله في الشعراء: ﴿ **فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين** ﴾[7].

* * *

(١) في ط : مما هي. وفي خ: كما هو.
(٢) في ط : أنزلت.
(٣) في ط : طه.
(٤) الإتقان ١/١٠.
(٥) في ط : ولذلك كان.
(٦) سورة النمل الآية ٧ وفي ط: لأهله امكثوا.
(٧) سورة الشعراء الآية ٢١.

سورة القصص

أقول: ظهر لي بعد الفكرة: أنه سبحانه لما حكى في الشعراء قول فرعون لموسى: ﴿ **ألم نربك فينا وليداً، ولبثت فينا من عمرك سنين، وفعلت فعلتك التي فعلت..** ﴾ إلى قول موسى [عليه السلام]: ﴿ **ففررت منكم لما خفتكم، فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين** ﴾[1].

ثم [حكى] في طس [النمل] قول موسى لأهله: ﴿ **إني آنست ناراً..** ﴾ إلى آخره، الذي هو في الوقوع بعد الفرار، [ولما][2] كان [الأمران] على سبيل الإشارة والإجمال، بسط في هذه السورة ما أوجزه في السورتين، وفصله[3] مما أجمله فيهما على حسب ترتيبهما، فبدأ بشرح تربية فرعون له، مصدِّراً بسبب ذلك: من علو فرعون، وذبح أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسى عند ولادته في اليم خوفاً عليه من الذبح، وبسط القصة في تربيته وما وقع فيها إلى كبره إلى السبب الذي من أجله قتل القبطي، [إلى قتل القبطي]، وهي الفعلة التي فعل، إلى إثم[4] عليه بذلك الموجب لفراره، [إلى فراره] إلى مدين، إلى ما وقع له [فيها] مع شعيب [عليه السلام]، وتزوجه بابنته، إلى أن [ب/١٠٦] سار بأهله، وأنس من جانب الطور ناراً ﴿ **قال لأهله: امكثوا إني آنست ناراً** ﴾[5]، إلى ما وقع له فيها من

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٨- ٢١.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) في ط: فصل ما.

(٤) في ط: الهم بذلك.

(٥) سورة القصص الآية ٢٩، وفي خ: فقال.

المناجاة لربه وبعثه إياه رسولاً، وما استتبع ذلك، إلى آخر القصة، فكانت السورة شارحة لما أجمل في السورتين معاً على الترتيب، وبذلك عرف وجه الحكمة في تقديم (طٰس) على هذه، وتأخيرها عن[٦] الشعراء. فللّه الحمد على ما ألهم!!.

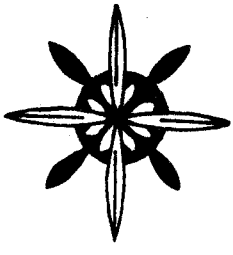

(٦) في ط : عن، وفي خ : في.

سورة العنكبوت

أقول: ظهر لي في وجه اتصالها [بما قبلها][1]: أنه تعالى لما أخبر في أول السورة [السابقة][2] عن فرعون أنه ﴿ **علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم** ﴾[3]. افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار، وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل، تسليةً لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثاً على الصبر، ولذلك قال هنا: ﴿ **ولقد فتنا الذين من قبلهم** ﴾[4] وهذه أيضاً من حكم تأخير القصص عن[5] طٰس.

وأيضاً: فلما كان في خاتمة القصص الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ، وفي خاتمة هذه الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله: ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة** ﴾[6] ناسبت تتاليهما، [وافتتحت تلك بهجرة نبي، وجعله، وفتنة المؤمنين، فصل فاتحة سورة مناسبة بخاتمتها].

* * *

---

(١) (٢) زيادة من المطبوع.

(٣) سورة القصص الآية ٤.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٣.

(٥) في ط : على.

(٦) سورة العنكبوت الآية٥٦، وفي ط : ﴿ يا عبادي إن أرضي ﴾.

سورة الروم

أقول: وجه[1] اتصالها بما قبلها، أنها ختمت بقوله: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[2] وافتتحت[3] هذه بوعد من غُلِب من أهل الكتاب بالغَلَبَةِ والنصر، وفرح المؤمنين بذلك، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه، ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك، من هزيمة.

هذا مع تآخيها بما[4] قبلها في المطلع، فإن كلاً منهما افتتح بـ (ألم) غير معقب بذكر القرآن، وهو خلاف القاعدة [الخاصة][5] في المفتتح بالحروف المقطعة، فإنها[6] كلها عقب بذكر الكتاب أو وصفه إلا هاتين السورتين، [وسورة القلم][7]، لنكتة بينت[8] في «أسرار التنزيل».

* * *

(١) في ط : ظهر لي.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٩.
(٣) في ط : فافتتحت.
(٤) في خ: لما.
(٥) زيادة من المطبوع.
(٦) في خ : فإن.
(٧) زيادة من المطبوع.
(٨) في ط : بينتها.

سـورة لقمـــان

أقول: ظهر لي في اتصالها [بما قبلها][1] مع المؤاخاة في الافتتاح بـ(الم)، أن قوله تعالى [هنا][2]: ﴿ **هدىً ورحمة للمحسنين، الـذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، وهم بالآخرة، هم يوقنون** ﴾[3] متعلق بقوله في آخر سورة الروم: ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان** [أ/١٠٧] **لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث..** ﴾[4] الآية. فهذا عين إيقانهم بالآخرة، وهم المحسنون الموصوفون[5] بما ذكر.

وأيضاً: ففي كلا[6] السورتين جملة من الآيات[7]، وبدء الخلق.

وذكر في الروم: ﴿ **في روضة يحبرون** ﴾[8] وقد فسر: بالسماع[9].

وفي لقمان: ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾[10] وقد فسر: بالغناء، وآلات الملاهي[11].

---

(١) (٢) زيادة من المطبوع.

(٣) سورة لقمان الآية ٣ ـ ٤.

(٤) سورة الروم الآية ٥٦.

(٥) في ط: الموقنون.

(٦) في ط: كلتا وفي خ: كلا.

(٧) في ط: الأديان. والآيات: بمعنى الأدلة والبراهين والعلامات.

(٨) سورة الروم الآية ١٥.

(٩) هو من قول يحيى بن أبي كثير، أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد بن السري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث، والخطيب في تاريخه. ومن قول الأوزاعي، أخرجه ابن عساكر ـ انظر الدر المنثور (٥: ١٥٣).

(١٠) سورة لقمان الآية ٦.

(١١) تفسير الطبري ٢١/٣٩. وانظر الدر المنثور (٥: ١٥٩) فقد نقل عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي أمامة، وغيرهم..

سورة السجدة

أقول: وجه اتصالها بما قبلها، أنها شرح لمفاتح[1] الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمتها[2]، فقوله [هنا]: ﴿ ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾[3] شرح قوله[4]: ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾[5]، ولذلك عقب هنا بقوله: ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾[6].

وقوله: ﴿ أولم يروا أنَّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ﴾[7]، شرح قوله ﴿ وينزل الغيث ﴾[8].

وقوله: ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾[9] الآيات. شرح لقوله: ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾[10].

وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾[11] و ﴿ولو شئنا

---

(١) في ط : شرحت مفاتح.
(٢) في ط : خاتمة لقمان.
(٣) سورة السجدة الآية ٥.
(٤) في ط : لقوله هناك.
(٥) سورة لقمان الآية ٣٤.
(٦) سورة السجدة الآية ٦.
(٧) سورة السجدة الآية ٢٧.
(٨) سورة لقمان الآية ٣٤.
(٩) سورة السجدة الآية ٧.
(١٠) سورة لقمان الآية ٣٤.
(١١) سورة السجدة الآية ٥.

لآتينا كل نفس هداها ﴾[12] شرح قوله: ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾[13].

وقوله: ﴿أئذا ضللنا في الأرض أئنا..﴾ إلى قوله: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾[14]، شرح قوله: ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾[15].

فالحمد لله على ما ألهم.

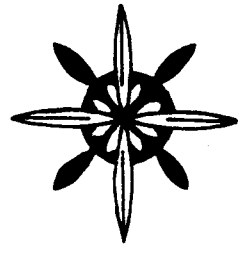

(١٢) سورة السجدة الآية ١٣.
(١٣) سورة لقمان الآية ٣٤.
(١٤) سورة السجدة الآية ١٠- ١١ وفي ط: مرجعكم.
(١٥) سورة لقمان الآية ٣٤.

سورة الأحزاب

أقول: وجه اتصالها بما قبلها، تشابه مطلع هذه، ومقطع تلك.

فإن تلك ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم.

[وهذه بدئت بأمره بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع ما أوحي إليه، والتوكل عليه] فصارت كالتتمة لما ختمت به تلك، حتىٰ كأنهما سورة واحدة.

* * *

سورة سبأ

أقول: ظهر لي في وجه اتصالها [بما قبلها، وهو][1] أن تلك لما ختمت، بقوله: ﴿ **ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات** ﴾[2] افتتحت هذه بأن له ما في السماوات، وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم، فإن الملك العام، والقدرة التامة، يقتضيان[3] ذلك.

وآخر[4] الأحزاب: ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾[5]، وفاصلة للآية الثانية من مطلع سبأ: ﴿ **وهو الرحيم الغفور** ﴾[6].

* * *

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٣.
(٣) في خ : يقتضي.
(٤) في ط : خاتمة.
(٥) سورة الأحزاب الآية ٧٣.
(٦) سورة سبأ الآية ٢.

سورة فاطر

أقول: مناسبة وضعها بعد سبأ، تآخيهما في الافتتاح بالحمد، مع تناسبهما في المقدار.

قال بعضهم: افتتاح سورة فاطر بالحمد مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿ **وحيل [ب/١٠٧] بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل** ﴾[١] كما قال: ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظَلموا، والحمد لله رب العالمين** ﴾[٢] فهو نظير اتصال [أول] الأنعام[٣] بفصل القضاء المختتم به المائدة.

* * *

(١) سورة سبأ الآية ٥٤.
(٢) سورة الأنعام الآية ٤٥.
(٣) في خ: أو الأنعام.

سورة يٰس

أقول: ظهر لي [في] وجه اتصالها: أنه لما ذكر في سورة فاطر [قوله][1]: ﴿ وجاءكم النذير ﴾[2] وقوله: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن ﴾ إلى قوله: ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾[3] والمراد به: محمد ﷺ وقد أعرضوا عنه وكذبوه. فافتتح هذه السورة بالاقسام على صحة رسالته، وأنه على صراط مستقيم: ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم... ﴾[4] وهذا وجه بيِّن!!.

وفي فاطر: ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ﴾[5] وفي يٰس: ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل.. ﴾[6] الآيتين. وذلك أبسط وأوضح.

وفي فاطر: ﴿ وترى الفلك فيه مواخر ﴾[7] وفي يٰس: ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون.. ﴾[8] الآيات. فزاد القصة بسطاً.

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة فاطر الآية ٣٧.
(٣) سورة فاطر الآية ٤٢ وانظر ابن كثير ٥٤٢/٦. والدر المنثور ٢٥٥/٥ - ٢٥٦.
(٤) سورة يس الآية ٦.
(٥) سورة فاطر الآية ١٣.
(٦) سورة يٰس الآية ٣٨- ٣٩.
(٧) سورة فاطر الآية ١٢.
(٨) سورة يٰس الآية ٤١.

سـورة والصافــات

أقول: هذه السورة بعد يٰس، كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان في تفصيل أحوال القرون المشار [إليهم،] وإلى إهلاكهم، [في قوله سبحانه: ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون** ﴾[1]].

كما أن تينك السورتين تفصيل لمثل ذلك كما تقدم.

* * *

(١) سورة يٰس الآية ٣١.

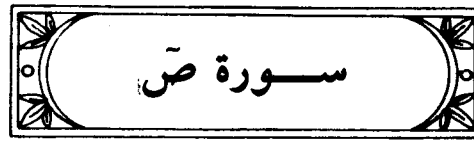

أقول: هذه السورة بعد الصافات. كـطٰس بعد الشعـراء، وكطٰه والأنبياء بعد مريم، وكيوسف بعد هود في كونها متممة لها بذكر من بقي من الأنبياء ممن لم يذكر[1] فيها.

فإنه سبحانه ذكر في الصافات: نوحاً، وإبراهيم، والذبيح، وموسى، وهارون، ولوطاً، وإلياس، ويونس، وذكر هنا: داوود، وسليمان، وأيوب، وأشار إلى بقية من ذكر، فهي بعدها أشبه شيء بالأنبياء وطٰس بعد مريم والشعراء.

* * *

(١) في ط : يذكروا.

سورة الزمر

[أقول]: لا يخفى وجه اتصال أولها بآخر صاد، حيث قال: ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾[1] ثم قال [هنا][2]: ﴿ **تنزيل الكتاب من الله** ﴾[3] فكأنه قيل: هذا الذكر تنزيل. وهذا تلاحم[4] شديد بحيث أنه لو سقطت البسملة لالتأم الكلام[5] كالآية الواحدة، [ولم يتنافر].

ثم[6] إنه تعالى [أ /١٠٨] ذكر في آخر (صٓ) قصة خلق آدم، وذكر في صدر هذه قصة خلق زوجه منه، وخلق الناس كلهم منه، وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق، ثم ذكر بأنهم ميتون، ثم ذكر وفاة النوم والموت، ثم ذكر القيامة، والحساب، والجزاء، والنار، والجنة، [وقال][7]: ﴿ **وقضي بينهم بالحق، وقيل: الحمد لله رب العالمين** ﴾[8].

فذكر أحوال الخلق من المبتدأ[9] إلى [آخر] المعاد، متصلاً بخلق آدم المذكور في السورة [التي][10] قبلها.

---

(١) سورة ص الآية ٨٧.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) سورة الزمر الآية ١.
(٤) في ط : تلاؤم.
(٥) في ط : أسقطت البسملة لالتأمت الآيتان.
(٦) في ط : وقد ذكر الله تعالى في آخر.
(٧) زيادة من المطبوع.
(٨) سورة الزمر الآية ٧٥.
(٩) في ط : المبدأ.
(١٠) زيادة من المطبوع.

سورة غافر

أقول: وجه إيلاء الحواميم السبع لسورة الزمر، تآخي المطالع في الافتتاح بـ ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ وفي مصحف [أبي بن كعب][1]، أول الزمر (حٰم) وذلك مناسبة جلية[2].

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ (حٰم) وبـ (ذكر الكتاب) [بعد حٰم][3]، وأنها مكية، بل ورد في حديث: أنها نزلت جملة واحدة.

وفيها شبه من ترتيب ذوات (الراء) الست.

وانظر ثانية الحواميم [وهي فصلت][4] كيف شابهت ثانية ذوات (الراء) [هود][5] في تغيير الأسلوب في وصف الكتاب، فإن في هود: ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾[6] وفي فصلت: ﴿ كتاب فصلت آياته ﴾[7] وفي سائر الراءات: ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ وفي سائر الـ (حٰم): ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أو ﴿ والكتاب ﴾.

وروينا[8] عن ابن عباس [رضي الله تعالىٰ عنهما]، وجابر بن زيد، في ترتيب نزول السور: أن الحواميم نزلت عقب الزمر، وأنها نزلت متتاليات،

(١) في خ : ابن مسعود وهو خطأ.
(٢) في ط : جليلة.
(٣) (٤) (٥) زيادة من المطبوع.
(٦) سورة هود الآية ١.
(٧) سورة فصلت الآية ٣.
(٨) انظر الإتقان ١/ ١٠- ١١.

كترتيبها في المصحف: المؤمن، ثم السجدة، ثم الشورى، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ولم يتخللها نزول غيرها، وتلك مناسبة [جلية][9] واضحة في وضعها هكذا.

ثمّ ظهر لي لطيفة أخرى: وهي[10] أنه في كل ربع من أرباع القرآن، توالت سبع سور مفتتحة بالحروف المقطعة، فهذه السور السبع مصدرة بـ (حٰم)، وسبع في الربع الذي قبله متوالية، وذوات الراءات الست[11]، و(المص) الأعراف، فإنها متصلة بيونس على ما تقدمت الإشارة إليه، وافتتح أول القرآن بسورتين من ذلك، وأول النصف الثاني بسورتين، وقال الكرماني في «العجائب»: ترتيب [ب/١٠٨] الحواميم السبع، لما بينها من التشاكل الذي اختصت[12] به، وهو: أن كل سورة منها استفتحت بالكتاب، وصفة الكتاب[13] مع تقارب المقادير في الطول، والقصر، وتشاكل الكلام في التظاهر[14]. انتهى.

قلت: وانظر إلى مناسبة ترتيبها، فإن مطلع غافر، مناسب لمطلع الزمر، ومطلع فصلت التي هي ثانية الحواميم، مناسب لمطلع هود التي هي ثانية الراءات، ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف.

* * *

(٩) زيادة من المطبوع.
(١٠) في خ : وهو.
(١١) في ط : الذي قبله ذوات الراءات الست متوالية.
(١٢) في ط : خصت.
(١٣) في ط : أو وضعه.
(١٤) في ط : النظام.

سـورة القتـــال

[أقول]: لا يخفى وجه ارتباط أولها، بقوله في آخر الأحقاف: ﴿ **فهل يُهلك إلا القوم الفاسقون** ﴾[1] واتصاله، وتلاحمه بحيث أنـه لو أسقطت منه البسملة لكان متصلاً اتصالاً واحداً لا تنافر فيه كالآية الواحدة، آخذاً بعضه بعنق بعض.

* * *

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٥.

سـورة الفتــح

[أقول]: لا يخفى[1] حسن وضعهما هنا، لأن الفتح بمعنى النصر مرتب على القتال، وقد ورد في الحديث[2]: أنها [نزلت] مبينة لما يفعل به، وبالمؤمنين، بعد إبهامه في قوله [تعالى في الأحقاف][3]: ﴿ **وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم** ﴾[4] فكانت متصلة بسورة الاحقاف من هذه الجهة[5].

* * *

(١) في ط : لا يخفى وجه حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس. . الدر المنثور ٣٨/٦.

(٣) زيادة من المطبوع.

(٤) سورة الأحقاف الآية ٩.

(٥) في ط : الجملة.

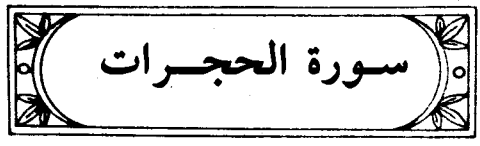

سورة الحجرات

أقول: لا يخفى تآخي هذه السورة مع ما قبلها[1] لكونهما مدنيتين، ومشتملتين على أحكام، فتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة، وتلك ختمت بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾. وهذه افتتحت بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾. وتلك تضمنت تشريفات له ﷺ خصوصاً مطلعها، وهذه أيضاً في مطلعها أنواع من التشريف له ﷺ.

* * *

(١) في ط : تآخي هاتين السورتين [الفتح والحجرات] مع ما قبلهما.

سورة (ق) و(الذاريات)[1]

أقول: لما ختمت [سورة] (ق) بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء، والجنة، والنار، وغير ذلك من أحوال القيامة.

افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ما وعدوا من ذلك صادق[2]، ﴿ **وإن الدين** ﴾ وهو الجزاء، ﴿ **واقع** ﴾. ونظير ذلك افتتاح [و] المرسلات بذلك بعد ذكر الوعد والوعيد في سورة الإنسان.

* * *

(١) في ط : سورة الذاريات. فقط.
(٢) في ط : توعدون. لصادق.

سورة والطور

أقول: وجه وضعها بعد الذاريات تشابههما في المطلع، والمقطع، فإن في مطلع كل منهما، صفة حال المتقين، بقوله: ﴿ إن المتقين [أ/١٠٩] في جنات... ﴾[١] الآيات.

وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار، بقوله [في تلك: ﴿ فويل للذين كفروا ﴾[٢]، وفي هذه: ﴿ فالذين كفروا ﴾[٣]].

* * *

(١) سورة الذاريات الآية ١٥ وسورة الطور الآية ١٧.
(٢) سورة الذاريات الآية ٦٠ وهي زيادة من المطبوع.
(٣) سورة الطور الاية ٤٢. وفي خ: وإن للذين كفروا. وهو خطأ.

سورة النجم

أقول: هي[1] شديدة المناسبة لما قبلها، فإن الطور ختمت بقوله: ﴿ **وإدبار النجوم** ﴾[2] وافتتحت هذه بقوله: ﴿ **والنجم** ﴾[3].

ووجه آخر، [وهو]: أن الطور ذكر فيها ذرية المؤمنين، وأنهم تبع لآبائهم، وهذه فيها ذكر ذرية اليهود، في قوله: ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم** ﴾[4] الآية.

[فقد أخرج[5] ابن أبي حاتم، وابن المنذر، والواحدي، بأسناديهم، عن ثابت بن الحارث الأنصاري، قال: كانت اليهود تقول: إذا هلك لهم صبي صغير هو: صدِّيقٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: كذبتْ يهود، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه، إلا أنه شقي أو سعيد، وأنزل الله عند ذلك: ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض** ﴾ الآية.].

ولما قال هناك في المؤمنين: ﴿ **ألحقنا بهم ذريتهم، وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾[6] أي: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين مع نفعهم بعمل

---

(١) في ط : وجه وضعها بعد الطور أنها شديدة المناسبة لها.

(٢) سورة الطور الآية ٤٩.

(٣) سورة النجم الآية ١.

(٤) سورة النجم الآية ٣٢.

(٥) انظر الدر المنثور ١٢٨/٦، وزاد: وأخرجه الطبراني.

(٦) سورة الطور الآية ٢١، وفي خ: ذرياتهم.

آبائهم[٧]. قال هنا في الكفار أو بني الكفار[٨]: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[٩] خلاف ما ذكر في المؤمنين الصغار، وهذا وجه بيِّن بديع في المناسبة من وادي التضاد.

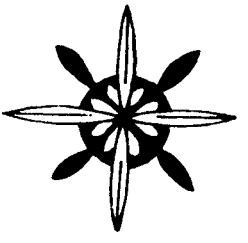

(٧) في ط : بما عمل آباؤهم.
(٨) في خ : أو في الكبائر.
(٩) سورة النجم الآية ٣٩.

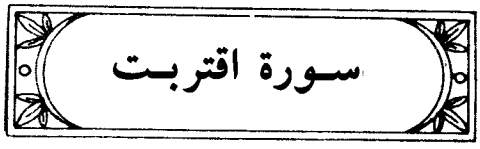

سـورة اقتربـت

أقول: لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق، [للتناسب] في التسمية، لما بين النجم والقمر من الملابسة، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى، وقبلها سورة الفجر.

وجه آخر، وهو: أن هذه السورة بعد النجم كالأعراف بعد الأنعام، [وكالشعراء بعد الفرقان]، وكالصافات بعد يس، في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم في قوله [هناك][1]: ﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى، وثمود فما أبقى، وقوم نوح..** ﴾ إلى قوله: ﴿ **والمؤتفِكَةَ** ﴾[2].

* * *

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) سورة النجم الآية ٥٠ـ ٥٣.

سورة الرحمٰن

أقول: لما قال سبحانه وتعالى في آخر القمر: ﴿**بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر**﴾[1] ثم وصف حال المجرمين في سقر، وحال المتقين في جنات ونَهَرٍ.

فصل هذا الإجمال في هذه السورة أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الإجمال، فبدأ بوصف مرارة الساعة، والإشارة إلى إذهابها[2]، ثم وصف النار وأهلها، ولذا قال: [﴿**يُعْرَفُ المجرمون** [ب/١٠٩] **بسيماهم**﴾[3] فلم يقل: الكافرون أو نحوه لاتصاله بقوله هناك: ﴿**إن المجرمين**﴾[4] ثم وصف الجنة وأهلها، وكذا قال] فيهم: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾[5] وذلك هو عين التقوى، و[لذلك] لم يقل: [و] لمن آمن، أو أطاع، أو نحوه، لتتوافق الألفاظ في التفصيل، والمفصل، وعرف بذلك أن هذه السورة بأسرها شرح لآخر السورة التي قبلها. فللّه الحمد على ما [ألهم][6] وفهَّم.

* * *

(١) سورة القمر الآية ٤٦.

(٢) في ط : إدهائها.

(٣) سورة الرحمن الآية ٤١.

(٤) سورة القمر الآية ٤٧.

(٥) سورة الرحمن الآية ٤٦.

(٦) زيادة من المطبوع.

سورة الواقعة

أقوله: هذه السورة متآخية مع سورة الرحمن، في أن كلاً منهما في وصف القيامة، والجنة، والنار.

وانظر إلى اتصال قوله [هنا][1]: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾[2] بقوله هناك: ﴿فإذا انشقت السماء﴾[3] ولهذا اقتصر في الرحمن على ذكر إنشقاق السماء، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة، [فذكر في كل شق]، ولهذا عكس [في][4] الترتيب، فذكر في أول هذه السورة ما [ذكره][5] في آخر تلك، وفي آخر هذه ما في أول تلك، كما أشرت إليه في سورة آل عمران مع البقرة، فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خلق الإنسان والجان من مارج من نار، ثم صفة [يوم] القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة. وهذه ابتداؤها[6] بذكر القيامة، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم [ذكر] النجوم، ولم يذكرها في الرحمن، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر القرآن.

فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك، وكرد العجز على الصدر.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) سورة الواقعة الآية ١.

(٣) سورة الرحمن الآية ٣٧.

(٤) (٥) زيادة من المطبوع.

(٦) في ط: وابتدأ هذه.

سورة الحديد

قال بعضهم: وجه اتصالها بالواقعة أنها بدئت[1] بذكر التسبيح، وتلك ختمت بالأمر به.

قلت: وتمامه أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به، وكأنه قيل: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾[2] لأنه ﴿سبح له ما في السماوات والأرض﴾[3].

* * *

(١) في ط: قدمت بدل: بدئت.

(٢) سورة الواقعة الآية ٩٦.

(٣) سورة الحديد الآية ١

سورة المجادلة

أقول: لما كان في مطلع الحديد ذكر صفاته الجليلة، ومنها: الظاهر، والباطن. وقال: ﴿ **يعلم ما يَلِجُ في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يَعْرُج فيها، وهو معكم أينما كنتم** ﴾[1] افتتح هذه بذكر: أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه [ﷺ][2] ولهذا قالت عائشة [رضي الله عنها][3] حين نزلت: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، إني في ناحية البيت لا أعرف ما تقول»[4].

وذكر بعد ذلك [قوله][5] [أ/١١٠]: ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات، وما في الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم..** ﴾[6] الآية. وهي تفصيل [لإجمال] قوله: ﴿ **وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير** ﴾[7] وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر مع تآخيهما في الإفتتاح: بـ ﴿ **سبح** ﴾.

* * *

---

(١) سورة الحديد الآية ٤.

(٢) (٣) زيادة من المطبوع.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، والبخاري تعليقاً، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن ماجة، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، بلفظ: الحمد لله ـ الدر المنثور ٦/١٧٩.

(٥) زيادة من المطبوع.

(٦) سورة المجادلة الآية ٧.

(٧) سورة الحديد الآية ٤، وفي خ: خبير، ولم تذكر في ط.

سورة الحشر

[أقول]: آخر سورة المجادلة نزل فيمن قتلَ من الصحابة ـ [رضي الله تعالىٰ عنهم] ـ أقرباءه يوم بدر.

وأول الحشر أنزل[1] في غزوة بني النضير، وهي عقبها، وذلك نوع من المناسبة والربط.

وفي آخر تلك: ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾[2] وفي أول هذه: ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب ﴾[3] وفي آخر تلك ذكر من حادَّ الله ورسوله، وفي أول هذه ذكر من شاقَّ الله ورسوله.

* * *

(١) في ط : نازل.
(٢) سورة المجادلة الآية ٢١.
(٣) سورة الحشر الآية ٢.

سورة الممتحنة

أقول: لما كانت سورة الحشر في المتعاهَدين[1] من أهل الكتاب، عقبت بهذه لاشتمالها على ذكر المعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية.

ولما ذكر في الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، ثم موالاة الذين [نافقوا للكفار] من أهل الكتاب، افتتح هذه السورة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك، وكرر ذلك، وبسطه، إلى أن ختم به فكانت في غاية الاتصال [بتلك]، ولهذا[2]، فصل بها بينها وبين الصف مع تآخيهما في الافتتاح بسبح.

* * *

(١) في ط : المعاهدين.
(٢) في ط : لذلك فصل بها بين الحشر والصف.

سورة الصف

أقول: في سورة الممتحنة ذكر الجهاد في سبيله، وبسط في هذه السورة أبلغ بسط[1].

* * *

(١) في خ : بياض بقد ثلاثة أسطر كتب فيها: بياض صحيح.

سورة الجمعة

أقول: ظهر لي وجه اتصالها [بما قبلها][1]، أنه تعالى لما ذكر في سورة الصف: حال موسى مع قومه، وأذاهم له، ناعياً عليهم ذلك. ذكر في هذه السورة حال الرسول ﷺ وفضل أمته، تشريفاً لهم، ليظهر فضل ما بين الأمتين[2]. [ولذا لم يعرض فيها لذكر اليهود][3].

وأيضاً: لما حكى[4] هناك قول عيسى [ب/١١٠]: ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه: أحمد** ﴾[5] قال هنا: ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم** ﴾[6] إشارة إلى أنه الذي بشَّر به عيسى. وهذا وجه حسن في الربط.

وأيضاً: فلما[7] ختم تلك السورة بالأمر بالجهاد، وسماه: (تجارة). ختم هذه بالأمر بالجمعة، وأخبر أنه (خير من التجارة الدنيوية).

وأيضاً: فتلك سورة الصف، والصفوف تشرع في موضعين: القتال، والصلاة، فناسب تعقيب سورة القتال، بسورة الصلاة تستلزم الصف ضرورة، وهي الجمعة، لأن الجماعة شرط فيها دون سائر الصلوات.

فهذه أربعة وجوه منَّ الله[8] [تعالى] بها.

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) في خ: فضل ما الأمتين.
(٣) زيادة من المطبوع.
(٤) في ط: ذكر.
(٥) سورة الصف الآية ٦.
(٦) سورة الجمعة الآية ٢.
(٧) في ط: لما.
(٨) في ط: فهذه وجوه أربعة فتح الله..

سورة المنافقون

أقول: وجه اتصالها [بما قبلها][1] أن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون، وهذه ذكر فيها أضدادهم، وهم: المنافقون، ولهذا أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة يحرض بها المؤمنين، وسورة المنافقين يقرع[2] بها المنافقين[3].

وتمام المناسبة: أن السورة التي بعدها في ذكر المشركين، والسورة التي قبل الجمعة، فيها ذكر أهل الكتابين[4] اليهود والنصارى، والتي قبلها وهي الممتحنة في[5] ذكر المعاهدين من المشركين، والتي قبلها وهي الحشر في[6] ذكر المعاهدين من أهل الكتاب، فإنها نزلت في بني النضير حين نبذوا العهد، وقوتلوا، وبذلك انفتحت المناسبة في ترتيب هذه السور الست هكذا لاشتمالها على أصناف الأمم، وفي الفصل بين المسبحات بغيرها لأن إيلاء سورة المعاهدين من أهل الكتاب بسورة المعاهدين من المشركين أنسب من ترك ذلك[7]، وإيلاء سورة المؤمنين بسورة المنافقين أنسب من غيره، فظهر

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) في ط : يفزع.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، والطبراني في الأوسط بسند حسن ـ الدر المنثور ٢٢٢/٦ وانظر ٢١٥/٦، وانظر مجمع الزوائد ١٩١/٢ رقم [٣١٣٥] وهو في الصحيح مختصراً.

(٤) في ط : الكتاب من.

(٥) (٦) في ط : فيها.

(٧) في ط : أنسب من غيره.

بذلك أن الفصل بين المسبحات التي هي نظائر لحكمة دقيقة من لدن حكيم خبير، فله الحمد على ما أفهم وألهم.

هذا وقد ورد[٨] عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما، في ترتيب النزول: أن سورة التغابن نزلت عقب سورة الجمعة، وتقدم نزول سورة المنافقين، فما[٩] فصل [بها] بينهما إلا لحكمة. [والله أعلم][١٠].

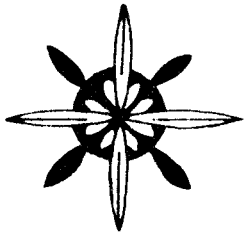

---

(٨) انظر الإتقان ١/١٠-١١.

(٩) في خ : وافصل، والصحيح: فما فصل.

(١٠) زيادة من المطبوع.

سورة التغابن

أقول: لما وقع في آخر سورة المنافقين: ﴿ **وأنفقوا** [أ/١١١] **ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت** ﴾[١] الآية. عقب بسورة التغابن لأنه قيل في معناه: أن الإنسان يأتي يوم القيامة، وقد جمع مالاً، ولم يعمل فيه خيراً فأخذه وارثه بسهولة من غير مشقة في جمعه فأنفقه في وجوه الخير، [فيأتيان]، والجامع محاسب معذب مع تعبه في جمعه، والوارث منعم مثاب مع سهولة وصوله إليه، وذلك هو التغابن، فارتباطه بآخر السورة المذكورة في غاية الوضوح، ولهذا قال هنا: ﴿ **وأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه، فأولئك هم المفلحون** ﴾[٢] [الآية].

وأيضاً ففي آخر تلك: ﴿ **لا تلهكم أموالكم، ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾[٣] وفي هذه: ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾[٤] وهذه الجملة كالتعليل لتلك الجملة، ولذا ذكرت على ترتيبها.

وقال بعضهم: لما كانت سورة المنافقين رأس ثلاث وستين سورة، أشير فيها إلى وفاة النبي ﷺ بقوله: ﴿ **ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها** ﴾[٥] وأنه مات على رأس ثلاث وستين سنة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده ﷺ.

---

(١) سورة المنافقون الآية ١٠.
(٢) سورة التغابن الآية ١٦.
(٣) سورة المنافقون الآية ٩.
(٤) سورة التغابن الآية ١٥.
(٥) سورة المنافقون الآية ١١.

سـورة الطـلاق

أقول: لما وقع في آخر التغابن: ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم**﴾[1] فكانت[2] عداوة الأزواج تفضي إلى الطلاق، وعداوة الأولاد قد تفضي إلى القسوة وترك الإنفاق عليهم، فعقب[3] ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق والإنفاق على الأولاد، و[على] المطلقات بسببهم.

* * *

(١) سورة التغابن الآية ١٤.
(٢) في ط : وكانت.
(٣) في ط : عقب.

سورة التحريم

أقول: هذه السورة متآخية مع التي قبلها في الافتتاح[1] بخطاب النبي [ﷺ][2]، وتلك مشتملة على طلاق النساء، وهذه على تحريم الإيلاء[3] وبينهما من الملابسة[4] ما لا يخفى.

ولما كانت تلك في خصام نساء الأمة، ذكر في هذه خصومة نساء المصطفى[5] ﷺ، إعظاماً لمنصبهن أن يذكرن مع سائر النسوة، فأفردن بسورة خاصة، ولهذا ختمت بذكر زوجته[6] في الجنة آسية امرأة فرعون، ومريم ابنت عمران[7].

* * *

(١) في ط : بالافتتاح.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) في خ : الإماء.
(٤) في ط: المناسبة.
(٥) في ط : النبي.
(٦) في ط : بذكر امرأتين في الجنة.
(٧) أخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوجني في الجنة مريم ابنت عمران، وامرأة فرعون، وأخت موسى». الدر المنثور ٦/٢٤٦.

سورة تبارك

أقول: ظهر لي بعد الجهد أنه لما ذكر في التحريم امرأتي[1] نوح ولوط الكافرتين، وامرأة فرعون المؤمنة، افتتحت هذه [السورة][2] بقوله: ﴿ **الذي خلق الموت والحياة** ﴾[3] مراداً بهما الكفر والإيمان في أحد الأقوال إشارة إلى أن الجميع بخلقه وقدرته [ب/١١١].

ولهذا كفرت إمرأتا نوح ولوط، ولم ينفعهما اتصالهما بهذين النبيين الكريمين، وآمنت امرأة فرعون، ولم يضرها اتصالها بهذا الجبار العنيد لما سبق في كل من القضاء والقدر.

[ثم ظهر لي] وجه آخر، وهو: أن [أول] تبارك متصل بقوله في آخر الطلاق: ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات** ﴾[4] فزاد ذلك بسطاً في هذه بقوله[5]: ﴿ **الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. .** ﴾ إلى قوله: ﴿ **ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾[6] وإنما فصلت بسورة التحريم لأنها كالقطعة من سورة الطلاق، والتتمة لها[7].

---

(١) في خ : امرأتا.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) سورة تبارك الآية ٢.
(٤) سورة الطلاق الآية ١٢.
(٥) في ط : الآية.
(٦) سورة تبارك الآية ٣ ـ ٥.
(٧) في ط : لأنها كالتتمة لسورة الطلاق.

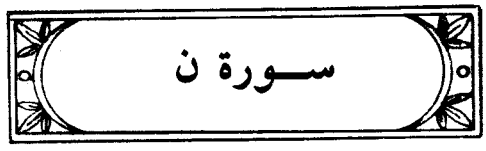

سـورة ن

أقول: لما ذكر سبحانه في سورة تبارك التهديد بتغوير الماء، استظهر عليه في هذه السورة، بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة بطائف طاف عليه[1]، وهم نائمون، فأصبحوا لم يجدوا له أثراً، حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وإذا كان هذا في الثمار: وهي أجرام كثيفة، فالماء الذي هو لطيف رقيق، أقرب إلى الإذهاب[2]، ولهذا قال [هنا]: ﴿ **وهم نائمون، فأصبحت كالصريم** ﴾[3]، وقال هناك: ﴿ **إن أصبح ماؤكم غوراً** ﴾[4] إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما أسري[5] على الثمر في ليلة.

* * *

(١) في ط : في ليلة يطاف عليه فيها.
(٢) في خ : الأذهان.
(٣) سورة القلم الآية ١٩ـ ٢٠.
(٤) سورة تبارك الآية ٣٠.
(٥) في ط: سرى.

سورة الحاقة

أقول: لما وقع في (ن) ذكر يوم القيامة مجملاً في قوله: ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾[1] الآية. شرح في هذه السورة نبأ[2] هذا اليوم وشأنه العظيم.

* * *

(١) سورة القلم الآية ٤٢.
(٢) في ط: بناء على.

سورة سأل

[أقول: لما وَقَعَ] هذه [السورة][1] كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف [يوم][2] القيامة، والنار، وقد قال ابن عباس[3] [رضي الله تعالى عنهما]: «أنها نزلت عقب الحاقة». وذلك أيضاً من وجوه المناسبة في الوضع.

* * *

(١) (٢) زيادة من المطبوع.
(٣) انظر الإتقان ١/ ١٠- ١١.

سورة نوح
[عليه السلام]

أقول: أكثر ما ظهر لي في وجه اتصالها بعد طول الفكرة[1]: أنه سبحانه لما قال في (سأل): ﴿ **إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم** ﴾[2] عقبه بقصة قوم نوح المشتملة على إغراقهم[3] عن آخرهم بحيث أنه لم يبق [في الأرض] ديار، وبدل خيراً منهم، [فوقعت موقع الاستدلال والاستظهار لتلك الدعوى، كما وقعت قصة أصحاب الجنة في سورة (ن)] موقع الاستدلال والاستظهار لما ختم به تبارك[4] هذا مع تأخي مطلع السورتين في ذكر العذاب الموعد به الكافرين[5].

* * *

(١) في ط : الفكر.
(٢) سورة المعارج الآية ٤٠- ٤١.
(٣) في ط : إبادتهم.
(٤) في ط : بدل هذه العبارة كلها: فوقع الاستدلال لما ختم به تبارك.
(٥) في خ : الكافرون.

سورة الجن

أقول: قد أفكرت[1] مدة في وجه [أ/ ١١٢] اتصالها [بما قبلها][2]، فلم يظهر لي سوى: أنه سبحانه قال في سورة نوح [عليه السلام]: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾[3] وقال في هذه السورة [لكفار مكة]: ﴿وأنْ لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾[4] وهذا وجه بيّن الارتباط.

* * *

(١) في ط : فكرت.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) سورة نوح الآية ١٠ ـ ١١.
(٤) سورة الجن الآية ١٦.

سورة المزّمل

أقول: لا يخفى اتصال[1] أولها: ﴿ قم الليل ﴾[2] بقوله في آخر تلك: ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾[3] وبقوله: ﴿ وأن المساجد لله ﴾[4].

* * *

(١) في خ : اتصالها.
(٢) سورة المزمل الآية ٢.
(٣) سورة الجن الآية ١٩.
(٤) سورة الجن الآية ١٨.

سورة المدثر

أقول: هي[1] متآخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء[2] النبي ﷺ.

وصدر كليهما نازل في قصة واحدة، وقد ذكر ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في ترتيب [سور] النزول: أن المدثر نزلت عقب المزمّل. [كذا] أخرجه ابن الضريس، وأخرجه غيره عن جابر بن زيد[3].

* * *

(١) في ط : هذه.

(٢) في ط : بخطاب.

(٣) انظر الإتقان ١/١٠ـ ١١، مع أنه أورد في الدر المنثور ٦/٢٨٠ـ ٢٨١ آثاراً تثبت أن سورة المدثر نزلت قبل سورة المزمل.

سـورة القيامـة

أقول: لما قال سبحانه في آخر المدثر: ﴿**كلا بل لا يخافون الآخرة**﴾[1] بعد ذكر الجنة والنار، وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث. ذكر في هذه السورة الدليل على البعث [من أوجه]، ووصف يوم القيامة وأهواله، وأحواله، ثم ذكر ما قبل ذلك [من خروج الروح من البدن، ثم ما قبل ذلك] من مبدأ الخلق فذكرت الأحوال [الثلاثة] في هذه السورة على عكس ما هي في الواقع.

* * *

(١) سورة المدثر الآية ٥٣.

سـورة الإنســان

أقول: وجه اتصالها بسورة القيامة في غاية الوضوح، فإنه تعالى ذكر في آخرها[1] مبدأ خلق الإنسان من نطفة، ثم ذكر مثل ذلك في مطلع هذه السورة مفتتحاً بخلق [آدم][2] أبي البشر، ولما ذكر هناك خلقه من نطفة[3] قال [هنا]: ﴿ **فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى** ﴾[4] ولما ذكر هنا خلقه منها قال[5]: ﴿ **فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾[6] فعلق به غير ما علق بالأول، ثم رتب عليه هدايته[7] السبيل، وانقسامه إلى شاكر وكفور، ثم أخذ في ذكر جزاء كل.

ووجه آخر: وهو: أنه لما وصف حال يوم القيامة في تلك السورة، ولم يصف [فيها حال][8] النار والجنة، بل ذكرهما على سبيل الإجمال، فصلهما في هذه السورة، وأطنب في وصف الجنة، وذلك كله شرح لقوله [تعالى][9] هناك: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾[10] وقوله [هنا][11]: ﴿ **إنا أعتدنا للكافرين**

(١) في ط : آخر تلك.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) في ط : منهما.
(٤) سورة القيامة الآية ٣٩.
(٥) في ط : هناك.. منها.. هنا.
(٦) سورة الإنسان الآية ٢.
(٧) في ط : هداية.. تقسيمه إلى شاكر وكفور.
(٨) (٩) زيادة من المطبوع.
(١٠) سورة القيامة الآية ٢٢.
(١١) زيادة من المطبوع.

سلاسل، وأغلالاً وسعيراً ﴾[12] شرح [ب/١١٢] قوله: **﴿ تظنُ أن يفعل بها فاقرة**[13]، وقد ذكر هناك: **﴿كلا بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة﴾**[14] وذكر في هذه السورة: **﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾**[15]. وهذا من وجوه المناسبة.

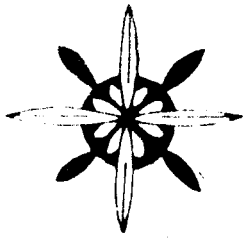

(١٢) سورة الإنسان الآية ٤.
(١٣) سورة القيامة الآية ٢٥.
(١٤) سورة القيامة الآية ٢٠ ـ ٢١. وفي ظ: يحبون.. يذرون.
(١٥) سورة الإنسان الآية ٢٧.

سورة والمرسلات

أقول: وجه اتصالها بما قبلها، أنه تعالى لما أخبر في خاتمتها أنه: ﴿ **يدخل من يشاء في رحمته، والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً** ﴾[1].

[ثم] افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون واقع، فكان ذلك تحقيقاً لما وعد به هناك المؤمنين، وأوعد [به] الظالمين، ثم ذكر وقته وأشراطه بقوله: ﴿ **فإذا النجوم طمست** ﴾[2] إلى آخره.

ويحتمل أن تكون الإشارة بما توعدون إلى جميع ما تضمنته السورة من وعيد الكافرين، ووعد الأبرار[3] [وعباد الله].

* * *

(١) سورة الإنسان الآية ٣١.
(٢) سورة المرسلات الآية ٨.
(٣) في ط : للكافرين. . . للأبرار.

سورة عمَّ

أقول: وجه اتصالها بما قبلها تناسبها معها في الجمل، [فإن] في تلك: ﴿ **ألم نهلك الأولين** ﴾[1]، ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين** ﴾[2]، ﴿ **ألم نجعل الأرض كفاتا** ﴾[3] إلى آخره..

وفي عمّ: ﴿ **ألم نجعل الأرض مهاداً** ﴾[4] إلى آخره.. فذلك نظير تناسب جمل ﴿**ألم نشرح**﴾ و ﴿**الضحى**﴾ بقوله [في الضحى][5]: ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى..** ﴾[6] إلى آخره.. وقوله: ﴿ **ألم نشرح لك صدرك**﴾[7] إلى آخره.. مع اشتراك هذه السورة والأربع بعدها في الاشتمال على وصف الجنة والنار، [و] ما عدا المدثر في الاشتمال على وصف يوم القيامة وأهواله، وعلى ذكر بدء الخلق وإقامة الدليل على البعث.

[وأيضاً في سورة المرسلات: ﴿ **لأي يوم أجلت، ليوم الفصل، وما أدراك ما يوم الفصل** ﴾[8]. وفي هذه السورة: ﴿ **إن يوم الفصل كان ميقاتاً. يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً** ﴾[9] إلى آخره.. فكأن هذه السورة شرح يوم الفصل المجمل ذكره في السورة التي قبلها][10].

(١) سورة المرسلات الآية ١٦.
(٢) سورة المرسلات الآية ٢٠.
(٣) سورة المرسلات الآية ٢٥.
(٤) سورة عم الآية ٦.
(٥) زيادة من المطبوع.
(٦) سورة الضحى الآية ٦.
(٧) سورة الشرح الآية ١.
(٨) سورة المرسلات الآية ١٢- ١٤.
(٩) سورة عم الآية ١٧- ١٨.
(١٠) زيادة من المطبوع.

سورة والنازعات*

ورد عن ابن عباس - رضي الله تعالىٰ عنه -: أنها عقب سورة عم.

وأولها يشبه أن يكون قسماً لتحقيق ما في آخر عم، أو ما تضمنته كلها على حد ما تقدم في (والمرسلات) مع (هل أتى)، و (الذاريات) مع (قّ)].

* * *

(*) هذه السورة غير موجودة في المطبوع.

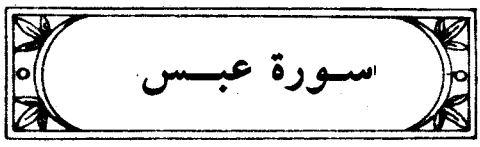

سورة عبس

أقول: وجه وضعها عقب النازعات مع تآخيهما في المقطع كقوله[١] هناك ﴿ **فإذا جاءت الطامة** ﴾[٢] وقوله هنا: ﴿ **فإذا جاءت الصاخة** ﴾[٣] وهما من أسماء [يوم][٤] القيامة.

* * *

(١) في ط: لقوله.
(٢) سورة النازعات الآية ٣٤.
(٣) سورة عبس الآية ٣٣.
(٤) زيادة من المطبوع.

سورة التكوير

أقول: لما ذكر في [آخر] عبس: ﴿ **فإذا جاءت الصاخة، يوم يفر المرء من أخيه..** ﴾[1] الآيات. فذكر[2] يوم القيامة [كأنه رأي عين][3] [شرح حاله في هذه السورة، والتي بعدها، ولهذا ورد] في الحديث: «من سره أن ينظر إليَّ يوم القيامة ـ كأنه رأي عين ـ فليقرأ ـ [أ/١١٣] ﴿ **إذا الشمس كورت**﴾ و ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ و ﴿**إذا السماء انشقت**﴾[4]][5].

* * *

(١) سورة عبس الآية ٣٣ـ ٣٤.

(٢) في ط : ذكر.

(٣) (٤) زيادة من المطبوع.

(٥) أخرجه أحمد رقم (٤٨١٦ و ٤٩٣٤) و(٤٩٤١) و(٥٨٥٥)، والترمذي رقم (٣٣٣٠)، وابن المنذر، والحاكم وصححه (٢/٥١٥) ووافقه الذهبي، وابن مردويه عن ابن عمر، الدر المنثور ٦/٣١٨.

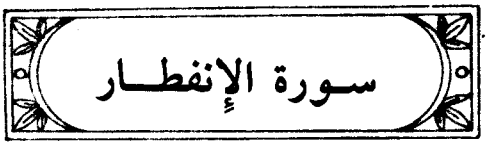

سورة الإنفطار

أقول: قد عرف مما ذكرت وجه وضعها هنا مع زيادة تآخيهما في المطلع[١].

* * *

(١) في ط : المقطع.

سـورة المطففيـن

أقول: الفصل في هذه السورة بين الإنفطار والإنشقاق، التي هي نظيرتها من خمسة أوجه:

- الإفتتاح بـ ﴿ إذا السماء ﴾.
- والتخلص بـ ﴿ يا أيها الإنسان ﴾.
- وشرح حال يوم القيامة، ولهذا ضمت إليها في الحديث السابق.
- والتناسب في المقدار.
- وكونها مكية.

وهذه السورة: مدنية، [وأطول منهما]، ومفتتحها، ومخلصها غير ما لهما، لنكتة [لطيفة] ألهمنيها الله، وذلك: أن السور الأربع لما كانت في صفة حال يوم القيامة، ذكرت على ترتيب ما يقع فيه، فغالب ما وقع في التكوير، وجميع ما وقع في الانفطار يقـع[1] في صدر يوم القيامة، ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل، ومقاساة العرق والأهوال، فذكره في هذه السورة بقوله: ﴿ يوم يقوم الناس لربِّ العالمين ﴾[2].

ولهذا ورد في الحديث[3] [في تفسير هذه الآية، قال]: يقـوم أحدهم

---

(١) في ط: وقع.

(٢) سورة المطففين الآية ٦.

(٣) أخرجه مالك، وهنّاد، وعبد بن حميـد، والبخاري (١١/٣٤٠) في الـرقاق، ومسلم رقم (٢٨٦٢)، والترمذي رقم (٢٤٢٤) و(٣٣٣٣)، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عمر - الدر المنثور ٦/٣٢٤.

في رشحه إلى أنصاف أذنيه. ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى، فتنشر الكتب، فأخذ باليمين، وأخذ بالشمال، وأخذ من وراء الظهر، ثم بعد ذلك يقع الحساب. وردت[٤] بهذا الترتيب الأحاديث، فناسب تأخير سورة الإنشقاق التي فيها إيتاء الكتب والحساب، عن السورة التي [قبلها، والتي][٥] فيها ذكر [طول] الموقف والسورة التي فيها ذكر الموقف، عن التي فيها ذكر[٦] أهوال اليوم.

ووجه آخر: وهو أنه جل جلاله لما قال في الإنفطار: ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين** ﴾[٧] وذلك في الدنيا، ذكر في هذه السورة حال ما يكتبه الحافظون[٨]، وهو: كتاب[٩] مرقوم يجعل في عليين أو [في][١٠] سجين.

وذلك أيضاً في الدنيا لكنه عقب بالكتابة[١١]، إما في يومه، أو بعد الموت في البرزخ كما في الآثار، فهذه حالة ثانية للكتاب ذكرت في السورة الثانية.

وله حالة ثالثة متأخرة عنها: وهو إيتاؤه[١٢] صاحبه باليمين أو غيرها، وذلك يوم القيامة، وناسب[١٣] تأخير السورة التي فيها ذلك عن السورة التي فيها الحالة الثانية، [وهي الإنشقاق][١٤]. فللّه الحمد على ما منَّ من الفهم لأسرار كتابه.

---

(٤) في خ : ورد بدل: وردت.
(٥) زيادة من المطبوع.
(٦) في خ : ذكر هباري؟ أهوال.. وفي ط : فيها مبادىء يوم القيامة.
(٧) سورة الإنفطار الآية ١٠- ١١.
(٨) في ط : الحافظان.
(٩) في ط : كتاب... جعل. وفي خ : إنه مرقوم... يجعل.
(١٠) زيادة من المطبوع.
(١١) في ط : بكتابه. وفي خ: الكتاب.
(١٢) في ط : منها وهي أخذ.
(١٣) في ط : فناسب.
(١٤) زيادة من المطبوع.

ثم رأيت الإمام فخر الدين، قال في سورة [ب/١١٣] المطففين [أيضاً][١٥]: اتصال أولها بآخر ما قبلها ظاهر لأنه تعالى بيّن هناك أن يوم القيامة من صفته: [أنه] لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر كله لله، وذلك يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة، فلهذا أتبعه بقوله: ﴿ **ويل للمطففين** ﴾. [الآيات][١٦].

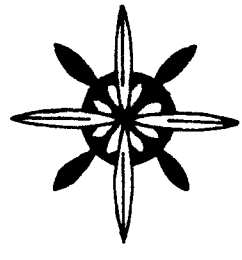

(١٥) (١٦) زيادة من المطبوع.

سـورة الإنشقــاق

قد استوفي الكلام فيها، [في سورة المطففين][1].

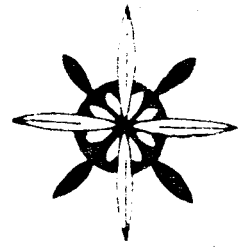

(١) زيادة من المطبوع.

سورة البروج والطارق

أقول: هما متآخيتان [في المفتتح] مقترنتان[1]، وقدمت الأولى لطولها وذكرا بعد الإنشقاق للمؤاخاة في الإفتتاح بذكر السماء، ولهذا ورد في الحديث: ذكر السماوات مراداً بها[2] السور الأربع كما قيل في المسبحات.

* * *

(١) في ط : فقرنتا.

(٢) في خ: به السور بالسور. . وأخرجه احمد في المسند ٢/٣٢٧ عن أبي هريرة. وانظر الدر المنثور ٦/٣٣١.

سـورة الأعلـى

أقول: في سورة الطارق ذكر خلق الإنسان في قوله: [﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾[1] وذكر بدء خلق النبات في قوله: ﴿ **والسماء ذات الرجع** ﴾[2]] وذكره في هذه السورة في قوله: ﴿**خلق فسوى**﴾[3] وقوله [في النبات][4]: ﴿ **أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى** ﴾[5].

وقصة النبات هنا[6] أبسط، كما أن قصة الإنسان هناك أبسط.

نعم: ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات.

* * *

(١) سورة الطارق الآية ٦.
(٢) سورة الطارق الآية ١١.
(٣) سورة الأعلى الآية ٢.
(٤) زيادة من المطبوع.
(٥) سورة الأعلى الآية ٤ـ ٥.
(٦) في ط : بدل هنا: في هذه السورة.

سورة الغاشية

أقول: لما أشار سبحانه [وتعالى] في سورة الأعلى بقوله: ﴿ سيذّكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى.. ﴾ إلى قوله: ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾[1] إلى المؤمن، والكافر، والنار، والجنة إجمالاً. فصل ذلك في هذه السورة، فبسط صفة النار والجنة مسندة[2] إلى أهل كل منهما على نمط ما هناك، ولذا قال: ﴿ عاملة ناصبة ﴾[3] في مقابل[4]: ﴿ الأشقى ﴾ وقال: ﴿ تصلى ناراً ﴾[5] إلى: ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾. في مقابلة: ﴿ يصلى النار ﴾ ولما قال: في الآخرة ﴿ خير ﴾ بسط صفة الجنة أكثر من صفة النار تحقيقاً لمعنى الخيرية.

* * *

(١) سورة الأعلى الآية ١٠ـ ١٧.
(٢) في ط : مستندة.
(٣) سورة الغاشية الآية ٣.
(٤) في خ : مقابلة.
(٥) سورة الغاشية الآية ٤.

سورة الفجر

أقول: لم يظهر لي في[1] وجه ارتباطها سوى أن أولها كالإقسام على صحة ما ختم به السورة [التي][2] قبلها، من قوله جل جلاله: ﴿ **إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم** ﴾[3].

أو على ما تضمنته من الوعد أو الوعيد، كما أن أول ﴿ **والذاريات** ﴾ قسم على تحقيق ما في (ق). وأول (والمرسلات) قسم على تحقيق [ما في (هل أتى). وأول (والنازعات) قسم على تحقيق] ما في (عم).

هذا مع أن جملة: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك** ﴾[4] مشابهة لجملة: ﴿ **أفلا** [أ/١١٤] **ينظرون** ﴾[5] [هناك][6].

* * *

(١) في ط : من.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) سورة الغاشية الآية ٢٥- ٢٦.
(٤) سورة الفجر الآية ٦.
(٥) سورة الغاشية الآية ١٧.
(٦) زيادة من المطبوع.

سورة البلد

أقول: وجه اتصالها[1] بما قبلها أنه لما ذم فيها من أحب المال، وأكل[2] التراث، ولم يحض على طعام المسكين. ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة[3].

* * *

(١) في خ: اتصال.
(٢) في ط: أكثر.
(٣) في خ: إطعام.

سورة الشمس والليل والضحى

أقول: هذه السور الثلاث حسنة التناسق جداً لما في مطالعها من المناسبة، لما بين الشمس والقمر[1]، والضحى، من الملابسة، ومنها سورة الفجر، لكن فصلت بسورة البلد، لنكتة أهم، كما فصل بين الإنفطار والإنشقاق، وبين المسبحات، لأن مراعاة التناسب بالأسماء، والفواتح، وترتيب النزول، إنما يكون حيث لا يعارضها ماهو أقوى وآكد في المناسبة.

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أعاد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة بقوله: [2]﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾[3] هم أصحاب الميمنة [في سورة البلد، وقوله:][4] ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾[5] هم أصحاب المشأمة [في سورة البلد][6].

فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة.

ولهذا قال الإمام: المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي.

---

(١) في ط: الليل.
(٢) في ط: فقوله.
(٣) سورة الشمس الآية ٩.
(٤) زيادة من المطبوع.
(٥) سورة الشمس الآية ١٠.
(٦) زيادة من المطبوع.

ونزيد في سورة الليل: أنها تفصيل إجمال سورة الشمس، فقوله: ﴿ **فأما من أعطى** ﴾[٧] الآيات وما بعدها تفصيل ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾[٨] وقوله: ﴿ **وأما من بخل** ﴾[٩] الآيات. تفصيل: ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾[١٠].

ونزيد في سورة الضحى: [أنها متصلة بسورة الليل من وجهين، فإن فيها: ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾][١١] وفي الضحى: ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولى** ﴾[١٢] وفي الليل: ﴿ **ولسوف يرضى** ﴾[١٣]، وفي الضحى: ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾[١٤].

ولما كانت سورة الضحى نازلة في شأنه ﷺ افتتحت بالضحى: الذي هو نور.

ولما كانت سورة الليل [نازلة في بخيل في قصة طويلة، افتتحت بالليل: الذي هو ظلمة.

وقال الإمام: لما كانت سورة الليل] سورة أبي بكر - يعني: ما عدا قصة البخيل - و[كانت][١٥] سورة الضحى سورة محمد، عقب بها، ولم يجعل بينهما واسطة، لتعلم أن لا واسطة بين محمد وأبي بكر.

* * *

(٧) سورة الليل الآية ٥.
(٨) سورة الشمس الآية ٩.
(٩) سورة الليل الآية ٨.
(١٠) سورة الشمس الآية ١٠.
(١١) زيادة من المطبوع، سورة الليل الآية ١٣.
(١٢) سورة الضحى الآية ٤.
(١٣) سورة الليل الآية ٢١.
(١٤) سورة الضحى الآية ٥.
(١٥) زيادة من المطبوع.

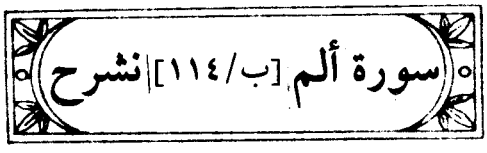

سورة ألم [ب/١١٤] نشرح

[أقول][1]: هي شديدة الاتصال بسورة الضحى لتناسبهما في الجمل، ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما.

قال الإمام: والذي دعاهم إلى ذلك، هو: أن قوله: ﴿ ألم نشرح ﴾، كالعطف على ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾[2].

قلت: وفي حديث الإسراء، أن الله قال له: يا محمد!! ألم أجدك يتيماً فآويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت [معي]». الحديث. أخرجه ابن أبي حاتم[3] وفي هذا [أوفى][4] دليل على اتصال السورتين معنىً.

* * *

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) سورة الضحى الآية ٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير والأوسط وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، والحاكم وصححه، وأبو نعيم، والبيهقي، كلاهما في الدلائل، وابن عساكر عن ابن عباس - الدر المنثور ٣٦٢/٦ - وانظر مجمع الزوائد ٢٥٣/٨ - ٢٥٤ رقم (١٣٤٢٨).

(٤) زيادة من المطبوع.

سـورة التيــن

أقول: لما تقدم في سورة الشمس: ﴿ **ونفس وما سواها** ﴾[1] فصل في هذه السورة، بقوله: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم..** ﴾[2] إلى آخره.

وأخرت هذه السورة لتقديم ما هو أنسب بالتقديم من السور الثلاث.

(وأيضاً لها اتصال)[3] بسورة البلد لقوله: ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾[4].

وأخرت لتقديم ما هو أولى بالمناسبة مع سورة الفجر.

لطيفـة:

نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله [السكندري][5] في (لـطائف المنن)، عن الشيـخ أبي العباس المـرسي، قال: «قـرأت مرة ﴿ **والتين والزيتون** ﴾ إلى أن انتهيت إلى قوله: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾[6] ففكرت في معنى هذه الآية فكشف لي عن اللوح المحفوظ، فإذا مكتوب فيه: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً،

---

(١) سورة الشمس الآية ٧.
(٢) سورة التين الآية ٤.
(٣) في ط : واتصالها.
(٤) سورة التين الآية ٣.
(٥) زيادة من المطبوع.
(٦) سورة التين الآية ٤ ـ ٥.

ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوىً»[٦].

قلت. فظهر من هذا[٧] مناسبة وضعها بعد ﴿ ألم نشرح ﴾، فإن تلك أخبر فيها عن شرح صدر النبي - ﷺ - وذلك يستدعي كمال عقله وروحه [أي] كلاهما[٨] في القلب الذي محله الصدر، وعن تبرئته[٩] من الوزر الذي ينشأ عن النفس والهوى، وهو معصوم منهما. وعن رفع ذكره حيث نزه مقامه عن كل وصم[١٠].

فلما كانت هذه السورة في هذا العَلم الفرد من الإنسان [ذكر] عقبها سورة[١١] مشتملة على بقية الأناسي، وذكر ما خامرهم من[١٢] متابعة النفس والهوى.

* * *

(٦) لطائف المنن لابن عطاء الله ١/١٦٧- ١٦٨. وفي ط : اختلاف بسيط عن نص المخطوط الموافق للطائف المنن.

(٧) في ط : هذه.

(٨) في ط : فكلاهما.

(٩) في ط : خلاصه.

(١٠) في ط : مُوهِم.

(١١) في ط : أعقبها بسورة.

(١٢) في ط : في.

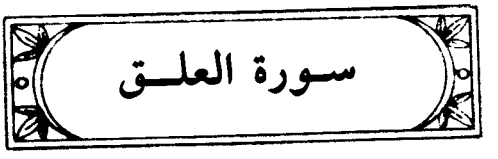

سورة العلق

أقول: [١١٥/أ] لما تقدم في التين بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم، بيَّن هنا أنه [تعالى](١): ﴿خلق الإنسان من علق﴾(٢)، وذلك ظاهر الاتصال فالأولى بيان للعلة الصورية، وهذه بيان للعلة المادية.

* * *

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) سورة العلق الآية ٢.

سورة القدر

قال الخطابي [رحمه الله تعالىٰ]: لما اجتمع الصحابة[1] [رضي الله تعالىٰ عنهم] على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق. استدلوا بذلك على أن المراد بها الكناية في قوله: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿ **إقرأ** ﴾.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: وهذا بديع جداً.

* * *

(١) في ط: أصحاب النبي ﷺ.

سورة لم يكـن

أقول: هذه السورة واقعة موقع العلة لما قبلها كأنه لما قال سبحانه: ﴿ إنا أنزلناه ﴾ قيل: لم أنزل؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم، حتى تأتيهم البيّنة، وهي رسول يتلو[1] صحفاً مطهرة، وهي ذلك المنزل[2]، وقد ثبتت الأحاديث: بأنه كان في هذه السورة قرآن نسخ رسمه، وهو: «إنا أنزلنا المال لإقام[3] الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً، لابتغى إليه الثاني، ولو أن له الثاني، لابتغى إليه الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله [تعالى] على من تاب»[4].

وبذلك تشتد مناسبة هذه السورة لما قبلها[5]، حيث ذكر هناك: إنزال القرآن وهنا إنزال المال.

وتكون السورتان تفصيل[6] ما تضمنته سورة إقرأ، لأن في أولها: ذكر العلم، وفي أثنائها ذكر المال، فكأنه قيل: إنا لم ننزل المال[7] للطغيان [والفخر] والاستطالة، بل ليستعان به على تقوانا، وإقامة الصلاة، وأداء[8] الزكاة.

---

(١) في خ: يتلي.

(٢) في ط: وذلك هو المنزل.

(٣) في ط: لإقامة.

(٤) راجع الروايات الواردة في ذلك في الدر المنثور ٦/٣٧٨. وانظر مجمع الزوائد ٧/١٤٠ رقم (١١٢٠٤) - (١١٢٠٧).

(٥) في ط: المناسبة بين هذه السورة وبين ما قبلها.

(٦) في ط: تعليلاً لما.

(٧) في خ: القرآن بدل: المال.

(٨) في ط: إيتاء.

سـورة الزلزلـة

أقول: لما ذكر في آخر ﴿ لم يكن ﴾ إن جزاء الكافرين [نار] جهنم، وجزاء المؤمنين جنات. كأنه[1] قيل: متى يكون ذلك؟! فقيل: ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ أي يكون يوم زلزلة الأرض إلى آخره..

هكذا ظهر لي. ثم لما راجعت تفسير الإمام الرازي[2]، رأيته ذكر نحوه، فحمدت[3] الله كثيراً، وعبارته: «ذكروا في مناسبة هذه السورة لما قبلها وجوهاً منها أنه تعالى لما قال: ﴿ جزاؤهم عند ربهم ﴾ فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟! فقال: ﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾

ومنها: أنه لما ذكر [ب/١١٥] فيها وعيد الكافر، ووعد المؤمن[4]، أراد أن يزيد في وعيد الكافر، فقال: [أجازيه] ﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾. ونظيره [قوله]: ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾[5] ثم ذكر ما للطائفتين، فقال: ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم ﴾[6] ثم جمع بينهما [هنا][7] في آخر السورة، بذكر[8] الذرة من الخير والشر» انتهى.

---

(١) في ط : فكأنه.
(٢) في ط : ورأيته.
(٣) في ط : حمدت.
(٤) في ط : الكافرين... المؤمنين.
(٥) (٦) سورة آل عمران الآية ١٠٦.
(٧) زيادة من المطبوع.
(٨) في ط : بذكر الذي يعمل....

سـورة والعاديــات

أقول: لا يخفى ما بين قوله في الـزلزلـة: ﴿ **وأخرجت الأرض أثقالها** ﴾[1] وقوله في هذه السورة: ﴿ **إذا بعثـر ما في القبـور** ﴾[2] من المناسبة، والعلاقة.

* * *

(١) سورة الزلزلة الآية ٢.

(٢) سورة العاديات الآية ٩.

سـورة القارعــة

قال الإمام: لما ختم [الله][1] سبحانه السورة السابقة بقوله: ﴿ **إن ربهم بهم يومئذ لخبير** ﴾[2] فكأنه قيل: وما ذلك؟! فقال: هي القارعة [قال: وتقديره: ستأتيك القارعة][3] على ما أخبرت عنه في قولي: ﴿ **إذا بعثر ما في القبور** ﴾.

* * *

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة العاديات الآية ١١.
(٣) زيادة من المطبوع.

سورة ألهاكم

أقول: هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها، كأنه لما قال. [هناك]:[1] ﴿ فأمه هاوية ﴾[2] قيل: لم [ذلك][3]؟! فقال: لأنكم ﴿ألهاكم التكاثر﴾، فاشتغلتم بدنياكم [عن دينكم]، وملأتم موازينكم بالحطام، فخفت موازينكم بالآثام.

ولهذا عقبها بسورة ﴿ والعصر ﴾ المشتملة، على أن الإنسان لفي خسر، بيان لخسارة تجارة الدنيا، ونماء[4] تجارة الآخرة.

ولهذا عقبها بسورة ﴿ الهمزة ﴾ المتوعد فيها من ﴿جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده ﴾[5] فانظر إلى تلاحم هذه السور الأربع، وحسن اتساقها.

* * *

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة القارعة الآية ٩.
(٣) زيادة من المطبوع.
(٤) في ط : ربح.
(٥) سورة الهمزة الآية ٢ـ ٣.

سورة الفيل

[أقول: قد] ظهر لي في وجه اتصالها بعد الفكرة: أنه تعالى لما ذكر حال الهمزة[1] اللمزة الذي جمع مالاً وعدده، وتعزز بماله، وتقوى، عقبه[2] بذكر قصة أصحاب الفيل الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر مالاً، وعتواً، وقد جعل كيدهم في تضليل، وأهلكهم بأصغر الطير، وأضعفه، وجعلهم كعصف مأكول، ولم يغن عنهم مالهم، ولا عددهم[3]، ولا شوكتهم، ولا فيلهم شيئاً، فمن كان قصارى تعززه وتقويه بالمال، وأذى[4] الناس بلسانه، أقرب إلى الهلاك، وأدنى إلى الذل والمهانة.

* * *

(١) في ط : همز.
(٢) في ط : عقب ذلك.
(٣) في ط : عزهم.
(٤) في ط: همز.

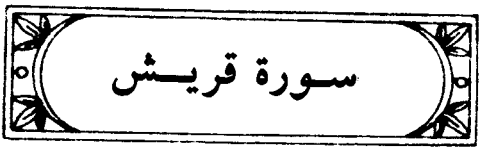

هي شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور [أ/١١٥] في أولها بالفعل في آخر تلك، ولذا[1] كانتا في مصحف أبيّ: سورة واحدة.

* * *

(١) في ط: لهذا.

سورة الدين

أقول: لما ذكر الله تعالى في سورة قريش: ﴿أطعمهم من جوع﴾[1] ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام المسكين.

ولما قال هناك: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾[2] ذم[3] هنا من سها[4] عن صلاته.

* * *

(١) سورة قريش الآية ٤.
(٢) سورة قريش الآية ٣.
(٣) في ط : ذكر.
(٤) في خ: ينهى.

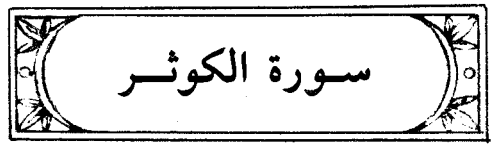

سورة الكوثر

قال الإمام فخر الدين [رحمه الله تعالىٰ]: هي، كالمقابلة للتي قبلها، لأن السابقة وصف الله سبحانه [وتعالىٰ] فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة والرياء فيها، ومنع الزكاة. فذكر[1] في هذه السورة في مقابلة البخل: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ أي: الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿ فصلِّ ﴾ أي: دم عليها، وفي مقابلة الرياء: ﴿ لربك ﴾ أي: لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون: ﴿ وانحر ﴾ وأراد به التصدق بلحوم الأضاحي[2].

قال: فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

* * *

(١) في ط : وذكر.

(٢) انظر التفسير الكبير ١١٧/٣٢.

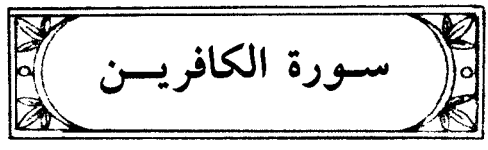

أقول: وجه اتصالها [بما قبلها]: أنه تعالى لما قال: ﴿ **فصل لربك** ﴾ أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرره، وانفصل منهم على أن لهم دينهم، وله دينه.

* * *

سورة النصر

أقول: وجه اتصالها [بما قبلها][1]: أنه لما قال [في][2] آخر السورة[3]: ﴿ ولي دين ﴾ فكان[4] فيه إشعار بأنه خَلَصَ له دينه، وسلم من شوائب الكدر[5]، والمخالفين، فعقب ببيان وقت ذلك، وهي[6] مجيء الفتح والنصر، فإن الناس حينئذ[7] دخلو في دين الله أفواجاً، وتم[8] الأمر، وذهب الكدر[9]، وخَلَصَ دين الإسلام ممن كان يناوئه، [يساويه]. ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته ﷺ.

وقال الإمام فخر الدين [رحمه الله تعالىٰ]: كأنه تعالى يقول: لما أمرتك في السورة المتقدمة بمجاهدة جميع الكفار بالتبري منهم، وإبطال دينهم، جزيتك على ذلك بالنصر والفتح، وتكثير الأتباع.

قال: ووجه آخر، وهو: أنه لما أعطاه [الله] الكوثر، وهو: الخير الكثير، ناسب تحميله [مشقة تناسب مقامه، فإنه كلما علا مقام الإنسان

---

(١) (٢) زيادة من المطبوع.
(٣) في ط : ما قبلها.
(٤) في ط : فكان وفي خ : كان.
(٥) في ط : الكفار.
(٦) في ط : وهو.
(٧) في ط : حين.
(٨) في ط : فقد.
(٩) في ط : الكفار.

كثرت] مشقاته، وتكاليفه، فعقبها بمجاهدة الكفار بالتبري[١٠]، فلما امتثل ذلك، عقبه[١١] بالبشارة بالنصر، والفتح، وإقبال الناس أفواجاً إلى دينه، وأشار إلى دنو أجله، فإنه ليس بعد [ب/١١٦] الكمال إلا الزوال.

* توقع زوالاً إذا قيل تم *[١٢]

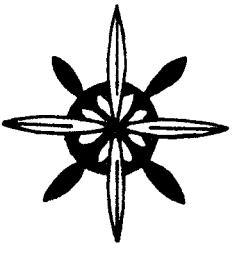

(١٠) في ط : والتبري منهم.
(١١) في ط : أعقبه.
(١٢) انظر التفسير الكبير ٣٢/١٢٥.

سورة تبت

قال الإمام [رحمه الله تعالىٰ]: وجه اتصالها [بما قبلها][1] أنه قال ﴿ **لكم دينكم، ولي دين** ﴾[2] فكأنه قال[3] إلٰهي، وما جزائي؟! فقال الله له: النصر والفتح، فقال: فما جزاء عمي الذي دعاني إلى عبادة الأصنام؟! فقال ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ وقدم الوعد على الوعيد ليكون النصر متصلاً[4] بقوله: ﴿ **ولي دين** ﴾ و[يكون][5] الوعيد راجعاً إلى قوله: ﴿ **لكم دينكم** ﴾ على حد [قوله][6]: ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم** ﴾[7] قال: فتأمل في هذه المجانسة الحاصلة[8] بين هذه السور، مع أن سورة النصر من أواخر ما نزل بالمدينة، والكافرون وتبت من أوائل ما نزل بمكة، ليعلم أن ترتيب هذه السور من الله [تعالى] وبأمره.

قال: ووجه آخر، وهو أنه لما قال: ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ فكأنه[9] قيل: إلٰهي ما جزاء المطيع؟!.

قال: حصول النصر والفتح، قيل[10]: وما ثواب العاصي؟! قال: الخسارة في الدنيا، والعقاب في العقبى، كما دلت عليه سورة تبت[11]

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) سورة الكافرون الآية ٦.
(٣) في ط : قيل.
(٤) في ط : معللاً.
(٥) (٦) زيادة من المطبوع.
(٧) سورة آل عمران الآية ١٠٦.
(٨) في ط : الحافلة.
(٩) في ط : كأنه.
(١٠) في ط : فقيل.
(١١) انظر التفسير الكبير.

سـورة الإخلاص

قال بعضهم: وضعت هنا للوزان في اللفظ بين فواصلها، ومقطع سورة تبت.

وأقول: ظهر لي [هنا غير الوزان في اللفظ][1]: أن هذه السورة متصلة بـ ﴿ **قـل يأيهـا الكافـرون** ﴾ في المعنى، ولذلـك[2] من أسمائهـا أيضـاً الإخلاص، وقد قالوا: أنها اشتملت على التوحيد، وهذه أيضاً اشتملت[3] عليه، ولذا قرن بينهما في القراءة في [صلوات كثيرة، كركعتي] الفجر والطواف، والضحى، وسنة المغرب، وصبح المسافر، ومغرب ليلة الجمعة.

وذلك أنه لما نفى عبادة ما يعبدون، صرح هنا بلازم ذلك، وهو أن معبوده واحد[4]، وأقام الدليل عليه بأنه ﴿ **صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ ولا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، وليس في معبودهم[5] من هو كذلك، وإنما فصل بين النظيرتين بالسورتين، لما تقدم من الحكمة، وكان في إيلائها بسورة تبت رد[6] عليه بخصوص.

---

(١) زيادة من المطبوع.
(٢) في ط : ولهذا قيل.
(٣) في ط : مشتملة.
(٤) في ط : أحد.
(٥) في ط : معبوداتهم ما.
(٦) في ط : ورد.

سورة الفلق والناس

أقول: هاتان السورتان نزلتا معاً، كما في الدلائل للبيهقي، فلذلك قرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين، ومن الإفتتاح بـ ﴿ قل أعوذ ﴾ وعقب بهما بسورة الإخلاص [١١٧/أ] لأن الثلاثة سميت في الحديث بالمعوذات[١]، وقدمت الفلق على الناس، وإن كانت أقصر [منها][٢] لمناسبة مقطعها في الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت.

* * *

وهذا آخر ما منَّ الله تعالى به عليَّ من استخراج مناسبات ترتيب السور، وكله من مستنبطاتي، ولم أعثر فيه على شيء لغيري إلا النذر اليسير الذي صرحت بعزوه[٣] فللَّه الحمد على ما ألهم، والشكر على [ما][٤] منَّ به وأنعم.

سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

* * *

(١) في ط : بالمعوذات وبالقوافل، وفي خ : بالمعوذات.
(٢) زيادة من المطبوع.
(٣) في ط : بعزوي له.
(٤) زيادة من المطبوع.

استدراك وتفصيل

ثم رأيت الإمام فخر الدين ذكر في تفسيره، كلاماً لطيفاً في مناسبات هذه السور، فقال في سورة الكوثر(*): إعلم أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور، وكالأصل لما بعدها، أما الأول فإنه تعالى جعل سورة ﴿ **والضحى** ﴾ في مدح محمد ﷺ وتفصيل أحواله، فذكر في أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته: ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ ثم ختمها بثلاثة أحوال من أحواله فيما يتعلق بالدنيا: ﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى..** ﴾ الآيات.

ثم ذكر في سورة ﴿**ألم نشرح**﴾: أنه شرفه بثلاثة أشياء: شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر.

ثم شرفه في سورة ﴿**والتين**﴾، بثلاثة أنواع: أقسم ببلده، وأخبر بخلاص أمته من النار(١)، بقوله: ﴿**إلا الذين آمنوا**﴾(٢)، ورفعه(٣) لهم الثواب، بقوله: ﴿**فلهم أجر غير ممنون**﴾(٤).

وشرفه في سورة ﴿**إقرأ**﴾ بثلاثة أنواع: ﴿**إقرأ باسم ربك**﴾، وقهر خصمه، بقوله: ﴿ **فليدع ناديه سندع الزبانية** ﴾(٥)، وتخصيصه بالقرب في قوله:

(*) انظر التفسير الكبير (٣٢/١١٧ - ١٢١).

(١) في ط: من الناس، وفي خ: عن النار.

(٢) سورة التين الآية ٦.

(٣) في هامش خ: ووصولهم الثواب. وفي ط: ذلك.

(٤) سورة التين الآية ٦.

(٥) سورة العلق الآية ١٧- ١٨.

﴿ واسجد واقترب ﴾[٦].

وشرفه في سورة ﴿القدر﴾: بليلة القدر، وفيها ثلاثة أنواع من الفضيلة: كونها خيراً من ألف شهر، وتنزيل الملائكة والروح فيها، وكونها سلاماً حتى مطلع الفجر.

وشرفه في ﴿لم يكن﴾ بثلاثة أشياء: أنهم خير البرية، وجزاؤهم جنات، ورضي [الله] عنهم.

وشرفه في ﴿الزلزلة﴾ بثلاثة أنواع: إخبار الأرض بطاعة أمته، ورؤيتهم أعمالهم، ووصولهم إلى ثوابها حتى وزن الذرة.

وشرفه في ﴿العاديات﴾: بإقسامه[٧] بخيل الغزاة من أمته، ووصفها بثلاث صفات.

وشرفه في ﴿القارعة﴾: بثقل موازين [ب/١١٧] أمته وكونه في عيشة راضية، ورؤيتهم أعداءهم في نار حامية.

و [شرفه] في ﴿ألهاكم﴾: بأن هدد المعرض[٨] عن دينه بثلاثة: يرون الجحيم، ثم يرونها عين اليقين، ويسألون النعيم.

وشرفه في ﴿العصر﴾: بمدح أمته بثلاث: الإيمان، والعمل الصالح، وإرشاد الخلق إليه، وهو التواصي [بالحق والصبر][٩].

وشرفه في ﴿الهمزة﴾: بوعيد عدوه بثلاثة [أشياء][١٠]: أن لا ينتفع بدنياه، ويقيد في الحطمة، وتغلق عليه[١١].

وشرفه في ﴿ألم تر﴾: بأن رد كيد عدوه بثلاث: [بأن][١٢] جعله في

---

(٦) سورة العلق الآية ١٩.
(٧) في خ : إقسامه.
(٨) في ط : المعرضين.
(٩) (١٠) زيادة من المطبوع.
(١١) في ط : يعذب...
(١٢) زيادة من المطبوع.

تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، وجعلهم كعصف مأكول.

وشرفه في ﴿**لإيلاف قريش**﴾: بثلاثة: تآلف قومه، وإطعامهم، وأمنهم.

وشرفه في ﴿**الماعون**﴾: بذم عدوه بثلاث: بالدناءة واللؤم في قوله: ﴿ **يدع اليتيم ولا يحض..** ﴾[١٣] الآية، وترك تعظيم الخالق في قوله: ﴿ **فويل** ﴾[١٤] الآيات، وترك إنفاع[١٥] الخلق في قوله: ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾[١٦].

فلما شرفه في هذه السور بهذه الوجوه العظيمة: قال: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ أي: هذه الفضائل المتكاثرة المذكورة في هذه السور التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها، فاشتغل أنت بعبادة ربك، إما بالنفس وهو قوله: ﴿ **فصلِّ لربك** ﴾ وإما بالمال، وهو قوله: ﴿ **وانحر** ﴾ وإما بإرشاد العباد إلى الأصلح [لهم]، وهو قوله: ﴿ **قل يا أيها الكافرون..** ﴾ الآيات.

فثبت أن هذه السور كالتتمة[١٧] لما قبلها، وأما كونها كالأصل لما بعدها، فهو: أنه تعالى يأمره بعد هذه بأن يكف جميع أهل الدنيا[١٨] بقوله: ﴿ **قل يا أيها الكافرون...** ﴾ إلى آخر السورة، ويبطل أديانهم[١٩]، وذلك يقتضي [تصييرهم بأسرهم أعداء له][٢٠] لأن الطعن على الإنسان في دينه أشد عليه من الطعن في نفسه وزوجه [وولده]، وذلك مما يجبن عنه كل أحد من الخلق. فإن موسى وهارون [على نبينا وعليهما الصلاة والسلام] أرسلا إلى فرعون واحد، فـ ﴿**قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا**﴾[٢١]،

(١٣) سورة الماعون الآية ٢ـ ٣.
(١٤) سورة الماعون الآية ٤.
(١٥) في ط : نفع.
(١٦) سورة الماعون الآية ٧.
(١٧) في ط : كالمتممة.
(١٨) في ط : يكف عن أهل الدنيا جميعاً.
(١٩) في ط : أذاهم.
(٢٠) في ط : نصرهم على أعدائهم.
(٢١) سورة طه الآية ٤٥.

ومحمد ﷺ مرسل إلى الخلق كافة[٢٢]، فكأن كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه.

فتدبر قوله[٢٣] في إزالة هذا الخوف الشديد تدبيراً لطيفاً، بأن قدم هذه السورة، وأخبر فيها بإعطائه الخير الكثير، [ومن جملة ذلك النصر، والحفظ [أ/ ١١٨] والعظمة، فلا يصلون إليه بسوء]، ومن جملته أيضاً: الرئاسة، ومفاتيح الدنيا، فلا يلتفت إلى ما بأيديهم من زهرة الدنيا، وذلك أدعى إلى مجاهرتهم[٢٤] بالعداوة، والصدع بالحق، لعدم تطلعه إلى ما بأيديهم.

ثم ذكر بعد سورة الكافرين، سورة ﴿النصر﴾، فكأنه تعالى يقول: وعدتك بالخير الكثير، وإتمام أمرك، وأمرتك بإبطال أديانهم، والبراءة من معبودهم[٢٥]، فلما امتثلت أمري أنجزت لك الوعد بالفتح والنصر، وكثرة الأتباع، بدخول الناس في الدين أفواجاً.

ثم[٢٦] لما تم أمر الدعوة، و[إظهار] الشريعة، شرع في بيان ما يتعلق بأحوال القلب، والباطن، وذلك أن: الطالب إما أن يكون طلبه مقصوراً على الدنيا فليس له إلا الذل والخسارة، والهوان، والمصير إلى النار، وهو المراد من سورة ﴿تبت﴾.

وأما جانب[٢٧] الآخرة، فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي تنتقش فيها صورة الموجودات وقد ثبت أن طرائق[٢٨] الخلق في معرفة الصانع على وجهين: منهم من قال: أعرف الصانع، ثم أتوسل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته، وهذا هو الطريق الأشرف!!.

ومنهم من عكس، وهو طريق الجمهور.

(٢٢) في ط : جميعاً.
(٢٣) في ط : فدبر الله.
(٢٤) في ط : مجاهدتهم.
(٢٥) في ط : معبوداتهم.
(٢٦) في ط : بدل ثم، و.
(٢٧) في ط : وإما طالباً للآخرة.
(٢٨) في ط : طريق.

ثم إنه سبحانه ختم كتابه المكرم بتلك الطريقة التي هي أشرف فبدأ بذكر صفات الله تعالى، وشرح جلاله في سورة ﴿**الإخلاص**﴾، ثم أتبع[٢٩] بذكر مراتب مخلوقاته في سورة ﴿**الفلق**﴾[٣٠] ثم ختم مراتب النفس الإنسانية [في الناس][٣١]، وعند ذلك ختم الكتاب.

فسبحان من أرشد العقول إلى معرفة هذه الأسرار الشريفة [المودعة] في كتابه المكرم. هذا [كله] كلام الإمام.

ثم قال في سورة الفلق(*): سمعت بعض العارفين يقول: لما شرح [الله] سبحانه أمر الإلٰهية في سورة الإخلاص، ذكر هاتين السورتين[٣٢] عقبها في شرح مراتب [مخلوقات الله تعالى، وذلك أن عالم الممكنات على قسمين: عالم الأمر، وعالم] الخلق، على ما قال: ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[٣٣] فعالم الأمر: كله خيرات محضة، بريئة عن الشرور والآفات. وأما عالم الخلق فهو عالم الأجسام والجسمانيات[٣٤]، فالأجرام، قال في المطلع: ﴿**قل أعوذ برب الفلق، من شر ما..** ﴾ [ب/١١٨].

إما أبدية، وكلها خيرات محضة، لأنها بريئة عن الاختلالات والفطور[٣٥]، على ما قال: ﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت..** ﴾[٣٦] الآية.

وإما عنصرية، وهي: إما جمادات، فهي خالية عن جميع القوى النفسانية، فالظلمة[٣٧] فيها خالصة، والأنوار عنها زائلة، وهي المراد من

---

(٢٩) في ط : أتبعه وفي خ : أتبع.
(٣٠) في ط : الفلق، وفي خ : العلق.
(٣١) زيادة من المطبوع.
(*) انظر التفسير الكبير (٣٢/١٨٦ - ١٨٧).
(٣٢) في خ : الصورتين.
(٣٣) سورة الأعراف الآية ٥٤.
(٣٤) في ط : الأجسام الكثيفة والجثمانيات، فلا جرم.
(٣٥) في ط: الاختلافات. وفي التفسير: إما أثرية...
(٣٦) سورة الملك الآية ٣.
(٣٧) في ط : فالظلمات.

قوله: ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾.

وإما نبات[٣٨] والقوة العادية[٣٩] [له] هي التي تزيد في الطول والعمق معاً، فهذه القوة النباتية[٤٠] كأنها تنفث في العقد.

وإما حيوان: وهو محل القوى التي تمنع الروح الإنسانية عن الإنصباب إلى عالم الغيب، والاشتغال بقدس جلال الله، وهو المراد بقوله: ﴿ ومن شر حاسدٍ إذا حسد ﴾.

ثم إنه لم يبق في السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الإنسانية، وهي المستفيدة، فلا يكون مستفاداً منها، فلا جرم قطع هذه السورة. وذكر بعدها في سورة الناس مراتب [و][٤١] درجات النفس الإنسانية. انتهى.

ولم يبين المراتب المشار إليها، وقد بينها ابن الزملكاني في (أسراره)، فقال: إضافة ﴿ رب ﴾ إلى ﴿ الناس ﴾ تؤذن بأن المراد بالناس: الأطفال، لأن الرب من ربَّه يربّه، وهم إلى التربية أحوج [و][٤٢] إضافة ملك [إلى الناس][٤٣] تؤذن بإرادة الشباب به، إذ لفظ ملك يؤذن بالسياسة [والعزة] و[القوة] والشبان إليها أحوج.

وإضافة [إله][٤٤] [إلى الناس][٤٥] يؤذن بأن الناس مراد به الشيوخ لإيذانه بالإله المميز بالطاعة والعبادة[٤٦].

وقوله: ﴿ يوسوس في صدور الناس ﴾ يؤذن بأن المراد بالناس: العلماء والعبّاد، لأن الوسوسة غالباً عن الشُّبه.

وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾ يؤذن بأن المراد بالناس الأشرار، وهم

---

(٣٨) في خ: ثبات.
(٣٩) في ط: العادلة.
(٤٠) في ط: النباتية... العقدة. وفي خ: الثابتة.
(٤١) زيادة من المطبوع.
(٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) زيادة من المطبوع.
(٤٦) في ط: لان ذاته مستحقة للطاعة والعبادة وهم أقرب.

شياطين الإنس الذين يوسوسون [لهم والله تعالى أعلم][٤٧] [انتهى آخر الكتاب].

* * *

قال مؤلفه ـ نفعنا الله تعالى ببركاته في الدنيا والآخرة ـ: فرغت من تأليفه يوم الأحد ثالث عشر شعبان، سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة أحسن الله تعالى خاتمتها إلى خير، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. آمين.

* * *

وكان الفراغ من نسخه

نهار الجمعة سلخ ربيع الثاني سنة ١١٤٨ هـ[٤٨].

---

(٤٧) زيادة من المطبوع.

(٤٨) على يد إبراهيم بن أحمد بن الشيخ عبد القادر العجلوني. نقلت ذلك من المجموع الذي يحتوي كتاب تناسق الدرر مع أسباب النزول للسيوطي وهما بنفس الخط.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
ـ المقدمـات ـ	
قصتنا مع موضوع الكتاب	٥
السيوطي في رحاب القرآن	١٣
السيوطي يحدثنا عن مناسبة الآيات والسور	١٥
من ألف في هذا الموضوع	١٨
وصف المخطوط وعملي فيه	١٩
ـ النـص ـ	
مقدمة المؤلف	٢٣
مقدمة في ترتيب السور	٢٧
سورة الفاتحة	٣٥
سورة البقرة	٣٨
سورة آل عمران	٤٨
سورة النساء	٥٤
سورة المائدة	٦٠
سورة الأنعام	٦٤
سورة الأعراف	٧٠
سورة الأنفال	٧٣

الموضوع	الصفحة
سورة براءة	٧٨
سورة يونس	٧٩
سورة هود	٨٠
سورة يوسف	٨١
سورة الرعد	٨٣
سورة إبراهيم	٨٤
سورة الحجر	٨٥
سورة النحل	٨٧
سورة بني إسرائيل	٨٩
سورة الكهف	٩١
سورة مريم	٩٣
سورة طه	٩٤
سورة الأنبياء	٩٦
سورة الحج	٩٧
سورة قد أفلح المؤمنون	٩٨
سورة النور	٩٩
سورة الفرقان	١٠٠
سورة الشعراء	١٠٢
سورة النمل	١٠٣

الموضوع	الصفحة
سورة القصص	١٠٤
سورة العنكبوت	١٠٦
سورة الروم	١٠٧
سورة لقمان	١٠٨
سورة السجدة	١٠٩
سورة الأحزاب	١١١
سورة سبأ	١١٢
سورة فاطر	١١٣
سورة يٰس	١١٤
سورة والصافات	١١٥
سورة صٓ	١١٦
سورة الزمر	١١٧
سورة غافر	١١٨
سورة القتال	١٢٠
سورة الفتح	١٢١
سورة الحجرات	١٢٢
سورة (ق) و (الذاريات)	١٢٣
سورة والطور	١٢٤
سورة النجم	١٢٥
سورة اقتربت	١٢٧
سورة الرحمٰن	١٢٨
سورة الواقعة	١٢٩
سورة الحديد	١٣٠
سورة المجادلة	١٣١
سورة الحشر	١٣٢
سورة الممتحنة	١٣٣
سورة الصف	١٣٤
سورة الجمعة	١٣٥
سورة المنافقون	١٣٦
سورة التغابن	١٣٨
سورة الطلاق	١٣٩
سورة التحريم	١٤٠
سورة تبارك	١٤١
سورة (ن)	١٤٢
سورة الحاقة	١٤٣
سورة سأل	١٤٤
سورة نوح	١٤٥
سورة الجن	١٤٦
سورة المزمل	١٤٧
سورة المدثر	١٤٨
سورة القيامة	١٤٩
سورة الإنسان	١٥٠
سورة والمرسلات	١٥٢
سورة عم	١٥٣
سورة والنازعات	١٥٤
سورة عبس	١٥٥
سورة التكوير	١٥٦
سورة الإنفطار	١٥٧
سورة المطففين	١٥٨
سورة الإنشقاق	١٦١
سورة البروج والطارق	١٦٢
سورة الأعلى	١٦٣
سورة الغاشية	١٦٤
سورة الفجر	١٦٥
سورة البلد	١٦٦
سورة الشمس والليل والضحى	١٦٧

الموضوع	الصفحة
سورة ألم نشرح	١٦٩
سورة التين	١٧٠
سورة العلق	١٧٢
سورة القدر	١٧٣
سورة لم يكن	١٧٤
سورة الزلزلة	١٧٥
سورة والعاديات	١٧٦
سورة القارعة	١٧٧
سورة ألهاكم	١٧٨
سورة الفيل	١٧٩
سورة قريش	١٨٠
سورة الدين	١٨١
سورة الكوثر	١٨٢
سورة الكافرين	١٨٣
سورة النصر	١٨٤
سورة تبت	١٨٦
سورة الإخلاص	١٨٧
سورة الفلق والناس	١٨٨
استدراك وتفصيل	١٨٩

كتب للمحقق

- حكايات أبي بسطام شعبة بن الحجاج لأبي القاسم البنوي - ١٩٨٠ م دمشق.
- المصابيح الأربعة في سيرة الأئمة الأربعة - ١٩٨١ م دمشق.
- زاد المؤلفين من كتاب رب العالمين - ١٩٨٢ م دمشق.
- عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة للسيوطي - ١٩٨٢ م دمشق.
- التفسير الإحصائي - ١٩٨٣ أبو ظبي.
- تناسق الدرّر في تناسب السور للسيوطي - ١٩٨٣ م دمشق.
- سهام الإصابة في الأدعية المجابة للسيوطي - ١٩٨٣ م دمشق.
- عالم التراث - الجزء الأول - ١٩٨٤ م دمشق.
- الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة للسيوطي - ١٩٨٥ م بيروت.
- القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد لابن حجر العسقلاني - ١٩٨٥ م بيروت.
- من عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا - ١٩٨٦ م بيروت.
- خلاصة تجارب العلماء التراثية وكيفية تحصيلها والاستفادة منها - ١٩٨٦ م. جدة.